فيمتو بايت
1
أسطورة
الموت والدمار
أحمد السعيد مراد
سامية أحمد

(1)

أسطورة الموت والدمار

الطبعة الأولى
1439 هـ
2018 م

اسم الكتاب: أسطورة الموت والدمار
التأليف: أحمد السعيد مراد - سامية أحمد
موضوع الكتاب: مغامرات قصصية خيالية
عدد الصفحات: 86 صفحة
عدد الملازم: 5.5 ملزمة

عدد الطبعات: الطبعة الأولى
رقم الإيداع: 2017 / 26998

محفوظة جميع الحقوق

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع، والتصوير، والنقل، والترجمة، والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي، وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من الدار.

حكايا

hakayaproduction@gmail.com

01551751909 - 01096476744

فيمتو بايت

سلسلة مغامرات قصصية خيالية

(1)

أسطورة الموت والدمار

أحمد السعيد مراد   سامية أحمد

كان المشهد عجيبًا..

الجوّ كأنما يسودُه الغبار بلا غبار

والضباب يغيّم على المكان بلا ضباب

لا هو ليل ولا نهار

لا هو بردٌ ولا حارّ

ووسط هذا الجوّ الغريب الذي لا يمكن لريشةِ فنان أن ترسمه بتفاصيله المتناقضة..

وهناك, وفي ذلك الموضع المتّسع، شيء شبه هلامي بيضاوي الشكل, معلّق في السّماء على ارتفاع ما يقرب من متريْن, وأسفله حفرة عميقة في الأرض تماثل حجمَه المعلق كأنما هي انعكاسٌ له في قلب الأرض..

كان هذا الشيء بحجمٍ يقارب المتر ونصف المتر في عرضه, والمترين في الطول، لونه أرجواني, ويتغير كلّ دقيقة إلى الأخضر الفسفوري الخفيف لمدة ثانيتيْن, ثم يعود إلى الأرجواني مرة أخرى..

حدّه كأنما هو خطٌّ دقيق لامع, ولمَن يدقّق فيه يجد آلافَ الصواعق تتصارع بداخله..

وفي قلبه الشفاف ما يشبه بخارًا متصاعدًا من المجهول..

وحول هذا المشهد تجمّع الكثير من الرجال, معهم بعض الأجهزة الغريبة التي تسلّط الكثير من الأضواء الخاصة عليه.. وأجهزة أخرى توجّه الإشعاعات والترددات الصوتية في نفس اتجاه ذلك الشيء الغريب المعلّق.

وتمّ حظر التواجد للعامة على بُعد خمسة كيلو مترات.
توجّـه ذلـك الغـامض ذو المنظـار الـداكن إلى وسـط الرجـال، نظـر إلى الـدائرة بسـكونٍ دون أن تعـتري ملامحَـه أي تعبـيرات، ثـمّ فحـص المتواجـدين الـذين يتحركون في نشاط هادئ، وعندما وقع بصرُه على ذلـك الرجـل الأشـهل، توجّـه إليه, وقال له بصوت عميق:

- هل هو نفس الأمر؟

هزّ الأشهل رأسه موافقًا, وبصوت يحمل كلّ أسى الدنيا وحيرتها قال:

- نعم.. نفس الأمر.. فيمتو بايت.

****

كانت رشا سعيدة جـدًّا وهـي تتصفّح أحـد المواقـع الإليكترونيـة, بعـد أن تـمّ تعيينها مشرفة بأحد الأقسام الأدبية به، وبينما هي تتصـفّح مـذكراتها القديمـة، وبدأت في نقل خواطرها منهـا لـذلك القسـم الأدبي المميـز، وفي قمـة انْهماكهـا بالكتابة على لوحة المفاتيح؛ إذا بشيء عجيب تراه لأول مرة، ساد اللون الأسـود المساحة الكلية للشاشة حتى ظنّت بأن جهازها قد انطفأ، وإذا بصوتِ ضـحكة يعلو، ضحكة عميقة مترددة بصوتٍ تشعر بالارتجـاج معـه, كأنمـا هـي قهقهـة شيطان من أبالسة الجحيم، رغـمًا عنهـا ارتعـدت رشـا, وشـعرت بـالخوف مـن التأثيرات الصوتية الغريبة, ولم تفهم ما الذي يحدث، وما عمّـق شـعورَ الرعـب أنها كانت في سـاعةٍ متـأخرة مـن الليـل, والسـكونُ يسـود الكـونَ حولهـا، وإذا بعبارة تُخطّ أمامها على هذه الشاشة السوداء دون أي برامج محاورة معروفة, وتجد مَن يقول لها كتابة:

.. ((أسطورة الموت والدمار يعلنُ سيطرتَه على هذا الموقع)).

وأسفل هذه العبارة برزت جمجمةٌ مرعبة, يومض ضوءٌ أحمر من مكان عينيها بشكلٍ جعل رشا تنتفض صارخةً وتنزع مكبس الطاقة لجهازها لتغلقه بـأسرع طريقة.
واندفعت إلى سريرها الوثير, وتدثرت بأغطيتها, وهي ترتجف رعبًا, ولا تفهم ما الذي حدث!
كان مشهد الجمجمة بوميضِ عينيها لا يفارقان مخيّلتها، وعندما أخفت وجهَها أسفل وسادتها ووسط الظلمة تخيّلت أنْ تبرز لها هذه الجمجمـة مـرةً أخـرى، فقذفتها بأقصى قوة بعيدًا عنها، وظلّت تتقلّب محاولةً الهروب من هذا المشهد حتى غفت عيناهـا لـترى كـوابيس متعـددة, أبطالهـا شـكلٌ واحـد.. الجمجمـة المرعبة.

*****

انطلقت دفقة إليكترونية مسرعة عبْر كوابل شـبكة الإنترنـت العالميـة، لتنبعـث مِن جهاز رشا قبل إغلاقه عبر مسافات ومساحات خيالية, مرةً داخـل الأسـلاك, وأخرى عبر الأثير بطريقٍ لاسلكي, وتارة ابتعاثًـا مـن الأقـمار الصـناعية، لتسـتقرّ أخيرًا ضمن نبضاتِ حاسوب مسـتقلّ يجلـس أمامـه "رامـي" بمنظـاره السـميك وهو يقهقه بقوة وانْتشاء عجيب بعد أن استطاع أخيرًا من النجـاح في التحـدّي الذي برز أمامه.
كعادته, كان قد أرسل لصـاحب ذلـك الموقـع الإليكـتروني رسـالة تطلـب منـه- فقط- وضعَ تصميم إعلاني عبارة عن رايةٍ سوداء متموّجة, وفي وسطها جمجمة مرعبة يشعّ الضوءُ الأحمر من عينيها, وأسفلها جملة تقول: ((هذا الموقع أحـدُ جزر ومستعمرات أسطورة الموت والدمار)).

وكالعادة رفض الرجل, فما كان منه إلّا الاستيلاء عليه مغلقًا إيّاه ليصبح إعلانه محتلًّا للشاشة كلها بديلًا عن صفحات الموقع المعتادة، وترك بريد إليكتروني خاص محميّ بقوة من أي محاولة اختراق للتفاوض معه، ولديه يقينٌ تام أنه بعد ما يقرب من أسبوعين مِن محاولات استرداد الموقع سيأتي إليه الرجل صاغرًا, ويقبل بشروطه، وبعدها يتم إعلان احتلاله الرسمي للموقع لينضمّ إلى مئات المواقع الأخرى التي ترفع رايته المميّزة.

وفي خلال أشهر قليلة لمَعَ اسم (أسطورة الموت والدمار) بين مرتادي شبكة الإنترنت, وأصبح هو الشبحَ المرعب لمالكي المواقع.

حاول الكثيرون مفاوضتَه بالمال، ولكنه كان يرفض بديلًا عن رفع راياته الخفّاقة أعلى المواقع، فقد كانت متعتُه الفائقة في إخضاع أصحاب المواقع لسطوته وقوته وفقط.

لم تفلح كلّ محاولات كشفه، فقد وضع عدة مبادئ لنفسه.. لا تعارف.. لا تعاون.. لا مساومات.

ولهذا يعمل منفردًا تمامًا, وبمهارة وسرعة لا مثيل لهما.. وكم من عروض مُغرية أتتْه تطلب تعاونه في مواقع كبرى برواتبَ مجزية لكشف الثغرات وسدّها؛ حيث أنه الوحيد الذي لم تفلحْ معه كلُّ نظم الوقاية, وأصرّ على مبدأه.

وظل هو القرصان الوحيد على تلك الشبكة العنكبوتية الذي لا يشقّ له غبار.

وكم كانت تعلو قهقهتُه عندما تأتيه رسائلُ الخضوع والرعب منه.

وبينما هو يعود بظهره للخلف ليسترخي عليه, إذْ بها تبرز أمامه..

شاشة كاملة تتعاقب الألوان فيها بتدرجٍ وسرعة عجيبَيْن.. حتى أنه حاول تحديدَ أحد تلك الألوان, ولم يفلح.

ورغم أن التعاقب السريع في الغالب يسبّب إرهاق العينين إلّا أن درجة هذه الألوان العجيبة كان تبثّ فيه راحة مدهشة, وكأنما تساعده على الاسترخاء.

انتزعه من رغبة الاسترخاء هذه دهشتُه كيف ومَن تجرّأ وفعلها, واقتحم جهازه؟! وقبل أنْ يمدّ يده على لوحة المفاتيح برزتْ له تلك العبارة..

- إذا استطعت كسرَ هذه الشاشة والخروج منها؛ أهلًا بك في الهيئة العالمية والسرّيّة للمدمّرين.

كان تحديًا مِن نوع غريب له؛ فقد اعتاد أنْ يكون هو المقتحمَ دومًا.. فمَن هذا الذي اخترق جهازه للمرة الأولى؟!!

كان في السابق يتجاهلُ ويحذف- على الفور- رسائل مِن نوعية: أدعوك لصداقة تجمع العمالقة.

فكلّ القواعد تقول إنّ المنتصر هو مَن يفرض وجودَه, ويقبل أو يرفض ما يُعرض عليه على حسب رؤيته.

ولكنْ أن يحتل منزلَك ويسألك إنِ استطعت التحرّر فأهلًا بك؛ هنا لا يمكن التجاهل ولا السكوت.

ورغم أنّ الساعة كانت متأخرة جدًّا, وقد بلغ التعبُ والإرهاقُ منه مبلغَه, إلّا أنّ روح التحدي قامت بزيادة نسبة إفراز الأدرينالين لديه بشكلٍ دفعَه ليعتدل في جلسته بحيويةٍ ونشاط عجيبين، وتسابقت أصابعه على

لوحة المفاتيح لمدة ثلاثِ ساعات في صراعٍ وقتال شرس عجيب مع المجهول, وقد أوشك الفجر على البزوغ.

ومع أول صوت انطلق عبر المكبرات الصوتية بالمساجد القريبة ليعلنها مدوية (الله أكبر)؛ كان رامي يقفز عاليًا متناسيًا نفسه, وهو يصرخ صرخةً مجلجلة كفيلة بإيقاظ الحيّ كله.

فقد فعلها..

فعلَها, واستطاع كسْرَ الشاشة.. وفجأة انقطع التيار الكهربي, وفي نفس التوقيت ارتفع نداءُ أبيه وهو يصرخ أيضًا بصوته المجَلْجل, قائلًا: ((عملت إيه يا واد يا رامي يا ابن الـ...)).

مع صوات مواءِ قطّ من الخارج

والعجيب والمدهش.. أنّ تجمّع الظلمة الدامسة مع صوت أبيه المجَلجل متوعّدًا مرافقًا لمُواء القط؛ دفعوا رامي إلى أن يقفزَ بسرعة أسفل غطائه ليتدثّر به, وهو يرتجف بقوة من شدة الرعب.

نعم.. رامي (أسطورة الموت والدمار).

*****

لأسبوع كامل, ورامي نسي أو تناسي تمامًا مستعمراته ومواقعه التي ترفع راياته الخفاقة، وانغمس تمامًا في ذلك السّباق الجنوني الذي برز له مِن العدم!

منذ أن تغلّب على تلك الشاشة, وكلّ يوم يبرز له تحدٍّ بشكلٍ جديد ومبتَكَر. وهو أكثر ما يعشقه مسألة التحدّي هذه.

وكانت سعادته ونشوتُه تفوق الوصفَ كلّما نجح في ذلك.
وأصبحت مسألة استيلائه على المواقع والمنتديات منتهى الملل، فتركها تمامًا وانغمس في ذلك العالم السحري والمجهول، حتى أنّه في ذات يوم نجحَ في أحد السباقات، وظلّ أكثر من يومين ينتظر السباقَ التالي، وقد أصبح على حافّةِ الجنون وفي منتهى الشوق له، أضحت أكثر مخاوفِه أن يكون الأمرُ قد توقّف أو انتهى.
حتى جاءه الأمر, وبشكل جديد.. فقد أعلن له السباق أنّ هناك جائزةً خاصة بانتظاره إنْ نجح في الاختراق بأقلّ من عشْر دقائق.
وبدأ السباقُ مباشرة دون إعطائه فرصةً للتفكير أو اتخاذ القرار.
واندفع رامي بسرعة الصاروخ على اللوحة حتى أن مفاتيحها تكاد أن تتطاير يمينًا ويسارًا من شدة وسرعة الضرب عليها، وعند الدقيقة السابعة كان يصرخ صرختَه المعتادة التي تهزّ كلّ جوانحه بشكل أسطوري.. وبرزت له العبارة قائلة:
- إنت تستحق هديتك فلتتسلّمها الآن ومباشرة.
واختفت تلك الشاشة تمامًا مع ارتفاع صوتِ رنين جرس باب منزله.
شعر رامي ببعض الحيرة, ولكن مع ضجيج صوتِ جرس الباب المستمر، لم يستطع حتى متابعة أفكاره أو تنسيقها؛
فاندفع بضيقٍ ليرى مَن الطارق.. وإذا بشابٍّ يسأله قائلًا:
- رامي حافظ؟
أومأ رامي رأسه أنْ.. نعم. فسلّمه الرجل طردًا, وقال له:

- تفضل هديتك.

أمسك رامي بالطرد ليتفحّصه مندهشًا, وعندما اعتدل ليرى ويتساءل عن الطرد ومُرْسله، إذا به يجدُ العدم أمامه وقد اختفى الشاب تمامًا. وبعدها بساعتين, كان رامي يقلّب ذلك الجوّال وهو في منتهى الدّهشة والذهول. فبعد أسبوع كامل, بدأ يستفيق قليلًا من انغماسه السابق, وتراوده بعضُ التّساؤلات المنطقية.

كيف, ومَن استطاع اختراقَ جهازه وكشف حقيقتِه؟

فقد كان يعمل بمنتهى البراعة لعدم كشفِه أو معرفة هويته.. وبالطبع كان يتجنّب تمامًا مواقعَ البنوك والمواقع الأمنية والرسمية حتّى لا يتم ملاحقتُه.

وكيف تم معرفة عنوانه التفصيلي هذا؟

ومَن قام بتلك الحسبة الرهيبة عنْ موعد إنجازه, والفوز بالسباق لتنتظره هذه الجائزة العجيبة في توقيتٍ مُدهش جدًّا, كأنه بأحدِ الأفلام الغامضة.

وعندما عجز عنْ إيجاد أي إجابة لتساؤلاته, بدأ العبث بذلك الجوال, والذي- لدهشته- وجدَ ماركته باسم مجهول, لم يسمعْ عنها من قبل, ولم يعثر محرّك جوجل عن هذا الاسم، والجوّال يعمل عبر شبكات الأقمار الصناعية, وبه خطّ اتصال مؤمَّن جدًّا, ومجاني, وبلا اشتراك مستقبلي.

ورغم الإمكانات الهائلة به, والتي تكشف مدى تكلفتِه المادّية الكبيرة إلّا أنّ ذلك الوميض الجانبي به؛ كان يثير أعصابَه لمدى بعيد، لكنه بدأ يعتاده بعد فترة، بل بدأ يحبّه ويملأه الفخرُ كلما رآه؛ فهو دليلُ انتصار أسطورة الموت والدمار.

سمع صوتَ والده يناديـه؛ فـترك الجـوال بجـوار شاشـة الحاسـوب, وخـرج لـه بخطوات هادئة.
- ستأتي معي مساء اليومِ يا رامي لزيارة حسام ابن عمك.
نطق بها والدُ رامي وهو ينتظر ردّه المعارض لكي يسـمعه موشّحًا عـن أنّ ابـن عمه هو نمـوذج للشـاب المتهـوّر الرقيـع الـذي يجـبُ أن يعتـبر بـه كي يتعقّـل ويستهدي بالـلـه؛ فيكفِيه رؤيته محاطًا بالضمّادات وأسلاك كثيرة موصلة إليـه, وخراطيم شتّى تخرج منه ليعلم نتيجة التهور في القيادة, ولكن لدهشة الوالـد؛ قال رامي بابتسامة هادئة, وبصوت ناعم لم يعهده منه أبدًا:
- أنا طوْع أمرك يا أبي في كلّ ما تأمر به.
عقد الأبُ حاجبيه متعجبًا, ولكن برّر ذلـك برغبـةِ رامـي في مبلـغ إضـافي بعـد انتهاء مصروفه, وتحفّز للرفض حين طلب ذلك، والأغرب أنّ رامي بالفعـل كـان يستجيبُ لأبيه بمنتهى السلاسة, دون أي مطالب أو رغبات.
وانتهت الزيارةُ التي تخالف كلّ الزيارات السابقة,
فلم يبدُ عليه أي ضجرٍ أو ملل أو تعجّل للانصراف,
وعندما عاد توجّه بكلّ هدوء إلى حجرته وفتحَ جهـازه، وانتظـر ظهـورَ الرسـالة اليومية التي تأتيه في هذا الموعد، ولكنْ لم تأته.
وأيضًـا بكـلّ سـكون لم يتعجّـل أو يسـبّ أو يغلـق جهـازه بعنـف, كـما يفعـل كالمعتاد حين فشله في شيء. وإنّما قام وتدثّر بغطائه بعد إغلاقه لضـوء الغرفـة، رغم أن الموعد مبكرٌ جدًّا حتى لمَـن لم يعتـدِ السّـهر، إلّا أنـه في ثـوانٍ كـان قـد انغمس في نومٍ عميق.

وبعد أن سكن تمامًا, ووصل إلى آخر مرحلةٍ من مراحل الاستغراق في النوم، بدأ ذلك الوميضُ الذي يصدر مِن جوّاله الجديد يتتابع بسرعة, وتغيّر من الأبيض إلى الوردي، ثم انبعث منه ضوءٌ أضاء كلَّ أركان الغرفة بلوْنٍ أرجواني هادئ, وألقى ظلالًا عجيبة على وجه رامي.

****

تطلّع الرجل كثيرًا إلى شريف, وتفحّصه بعناية، كان يقف أمامه منتصبًا باعتدادٍ غريب, وملامحُه ترسم الجديّة بشكلٍ صارم, كأنما هو ضابط يقف أمام قائده الأعلى وليس مجردَ شاب صغير السنّ ما زال يدرس بكلية الهندسة، جاء ليعمل في الفترة المسائية لديه كي يمْكنه الإنفاق على نفسه ومتطلبات دراسته الشاقة، لتكن وظيفته بهذا المقهى الإليكتروني مراقبًا ومنظمًا لعملية شغل المكان والأجهزة التي به، كان شريف مهندمًا بعناية فائقة بما يتناسب مع وسامته، ألوان ملابسه هادئةٌ رائعة تدل على أنه منظّم ودقيق حتى في أبسط الأمور التي تخصّه، وإن كان من الواضح أنّ أرديته كلّها من النوع الرخيص جدًّا، ولكن لم تفتقدْ للنظافة وحسنِ الهندام.

حاول الرجلُ تلطيف الجوّ, فأشار اليه ليجلس, وقال له:

- تفضل. هل ستبقي هكذا طوال الوقت في وقفتك المتخشّبة هذه؟!

استرخى شريف, وبهدوء توجّه ليجلس بنفس انتصاب ظهره, وهو ينظر للرجل الذي أكمل حديثه قائلًا:

- من العجيب أن تبدأ حديثك بأنّ لك شروطًا للعمل هنا، المفترض أن يكنِ العكس!

قال شريف بصوته الهادئ:

- يا سيدي, شروطي لا توجد فرصةُ التفاوض أو التنازل عنها، فإذا قبلت بها ثقْ أنك ستجدُ كلّ ما يرضيك عندي، وإنْ لم تقبل يكنِ الأمرُ قد تمّ حسمُه.

كان الرجلُ لأول مرة يتعرض لهذا الأسلوب الحواري، ولكن أعجبه بقوة كلّ هذا الثبات والثقة المفرطة، فقال له:

- وما هي تلك الشروط؟

قال شريف:

- أولًا المقهى سيُغلق في أوقات الصلاة.

ارتفع حاجبا الرجل, وضحك ضحكة قصيرة, وقال له:

- ولكن لا يبدو عليك أيّ ميول إرهابية أو تزمّت!, لم هذا التعسف؟ فقد يكنْ بالمحل مَن لا يصلي أصلًا، وهذا تعطيلٌ للعمل وخسارة لنا.

قال شريف دون أن تختلج ملامحه:

- أعدُك بأن يكنْ دخْلُ المحل أكبرَ ممّا كان قبل قدومي.

كان الرجل يشعر بالحيرة من هذه الثقة المفرطة في كلام شريف, فتجاوز هذه النقطة, وقال له:

- ما هو شرطك التالي؟

- أي أفلام إباحية أو مواقع غير لائقة سيتم منعها تمامًا، وسأبحث عنها بنفسي وأحذفها, ويتم طردُ مَن يفعلها, ومنع دخوله المكان مرة أخرى.

وافقه الرجل هذه المرةَ دون نقاش، فأكمل شريف قائلًا:

- الأطفال دون الثانية عشر لن يـدخلوا هنـا إلا بموافقـة أهلـيهم, سـواء كانـت كتابية أو هاتفية, أو بأي شكل كان.
كان الرجل يستمع لـه ويعلـمُ بـأنّ كـل شروطـه سـوف تهـبط بأرباحـه كثـيراً؛ فـالإغلاق وحظـر الممنوعـات التـي يـتم تشـغيلها بعـد منتصـف الليـل, ومنـع الأطفال المتسرّبين مِن المدارس؛ كلُّ ذلك سيعود عليـه بالخسـارة.. ولكـن.. ابـن أخته الذي كان يديرُ المحل سرق أكثرَ من نصـف الإيـراد ويقـوم بـأعمال كثـيرة لحسابه تحت مظلةِ واسْمِ المكـان، هـذا الولـد يبـدو عليـه النزاهـة الشـديدة, فليجربه؛ فهو لن يخسر شيئًا، فالخسارة هذه المرة لن تكون بـأكثرَ مـمّا كانـت من قبل.
وتمت الموافقة, وتعيين شريف.
وبعد انصراف الرجل, اتصل شريف بأمّه, وقال لها بصوت متهدّج:
- ألم أقل لك يا أمي بأن الفرج قريب بإذن اللـه, ويجب ألا نتنازل أبدًا، أبشري أيتها الغالية؛ سيكنْ ثمن القسط بين يديك قبل بداية الشهر بإذن اللـه.
وأغلق معها الهاتف, وكانت هناك دمعةٌ رقيقة حبيسة ترقرق بين مقلتيه.

****

ومن الغريب ومـمّا أدهـش الرجـل، أنّ إيـراد المكـان تضـاعف كثـيرًا عـن أيـام افتتاحه حين كانت البيوتُ تفتقد لتوفر الأجهزة بها أو توصيلها بالإنترنت بهـذا الشكل الكثيف الآن، فقد اكتسبَ المكان ثقة واحترامًا كبـيريْن بالمنطقـة ولَـدَى الأهالي، وأصبح هو محلَّ الأمان والاطمئنان لدى الجميع.

وكذلك شريف ابتكرَ الكثيرَ من الأفكار؛ ممّا رفع من إيراد المكـان.. دورات كـرة القدم عـلى لعبـة فيفـا بـين كـلّ مَـن يرتـادُ المكـان عـبر الشـبكة الخاصـة بـه.. مسابقات ذات جوائز..

اشتراكات طويلة المدى مخفّضة الأسعار.. وغيرها الكثير.

ورغم متابعته الدقيقة لكلّ ما يدور بالمكان وحرصه وتفانيه في العمل الـذي لا يتناسب أبدًا مع مؤهلاته؛ كان يفرغ كلّ طاقاته وإمكاناته الحقيقية على شبكة الإنترنت.

فهو نهِمٌ للقراءة بشكل غير عادي, وبالتالي تيسر له التـزوّد مـمّا يحـب، ووجـد على الشبكة مكتباتٍ ضخمةً تشبع نهمَه, ودون تكلفة تُذكر.

وسارت به الأيام كما يحبّ، في أيام الدراسة يتمّ التوفيـق بـين عملـه ودراسـته، وفي أيام الأجازة يجمع بين هوايته وعمله في مكانٍ واحد.

ولكنْ حدث موقفٌ عجيب لم يجد له شريف تفسيرًا حتى الآن، فهـو منـذ أول يوم له أعادَ ترتيبَ الأجهزة بحيث تظهر شاشاتها للجميع, وله هو بشكلٍ خاص من عدة زوايا.

ومن عادته أن يقوم بجولةٍ استطلاعية كلَّ خمس دقائق لمتابعة أي شكل خارج أو ممنوع، فرغم البرامج التي ثبّتها لكشف ذلك أو منعه إلّا أنه يعلم بأن لكـلّ عقدة حـل, وأن أي جـدارٍ يمكـن ثقبُـه والمـرور منـه، ولهـذا سـتبقى الملاحظـة العينيـة والمتابعـة الشخصـية البشريـة هـي الأقـوى دومًـا؛ لأنـه مـن الصعب خداعها.

جـاء شـابٌّ هـادئ ورقيـق, نحيـل الجسـد, تكـاد نظارتـه السـميكة أن تلـتهم نصفَ وجهه، طلب البقـاءَ عـلى جهـاز لمـدة سـاعتين، وجلـس أمـام الحاسـوب

يعمل عليه دون أي ضجيجٍ أو طلبات خاصة، وكلّما قام شريف للمتابعة الدورية يجد أن صفحته عادية ما بين الأخبار العامة أو موقع للمعلومات العامة.

كان الوضع آمنًا وهادئًا..

ولكن, وبدون سابق إنذار, وبلا مبرر..

استشعر شريف بأن هناك أمرًا ما غير طبيعي لدى هذا الشاب؛ كثّف المتابعة له.

وكان الشاب يقرأ بمنتهى الهدوء, يقلّب الصفحات أمامه,

حاول شريف أن يطردَ كلّ هذه الظنون بعيدًا، فلو أن الشاب يرغب في استطلاع شيء إباحي لن يتحمل هذه المراقبة, وسيقوم لينهي الأمرَ سريعًا, ويذهب لمكان آخر يسمح بذلك، ولو كان يقوم بشيء معقّد فهو يحتاج لتركيز وهدوء أكثر من هذا، وكذلك لم يقمْ بوضع وحدة ذاكرة إضافية سواء فلاشة أو قرص صلب، وبمتابعة سرعة الإنترنت على جهازه لم يقمْ بأي تحميل أو رفع قد يكون مخفيًّا عن عينيه!

كلّ هذه العوامل لم تمنع شريف من عدم الارتياح. جلس على الجهاز الرئيسي وركّزَ كلّ برامج المراقبة لمتابعة هذا الجهاز فقط.

وكانت النتائج تؤكد أنّ شكوكَه لا محل لها.. كاد شريف أن يجنّ؛ فهذه أول مرة تحدثُ له.

وعندما فشل تمامًا في اكتشاف ذلك, ولإيمانه بحدسه وصدقِ شعوره الغامض هذا؛ خطرت بباله تلك الفكرة الرائعة لكشف حقيقة الأمر, وعلى الفور, توجّه لتنفيذها.

ذهب الى الذراع الرئيسي لفصل التيار الكهربي عن المكان, وعلى الفور قام بفصْله.

أضيء أحدُ الكشافات الضوئية الكبيرة التي تعمل بمجردِ فصلِ التيار الكهربي.

تذمر الجميع بشكلٍ عادي, منهم من تمعّر وجهه وفقط,

ومنهم من قال بخفوت.. ((ما هذا التهريج؟))

وآخر صرخ قائلًا: ((حرام عليكم, لقد ضيعتم كلّ عملي منذ ساعة)).

ولم يتوجّه أحدهم بالاتهام لشريف إلّا هذا الهادئ

الذي قام بثورةٍ عاصفة لا تتناسب مع الهدوء الظاهر عليه, وصرخ في شريف قائلًا:

- لماذا فصلتَ التيار الكهربي أيها الأحمق، سأعاقبك على هذا أشد العقاب.

وقبل أن ينطق شريف.. كان هذا الغامض قد انطلق خارجًا, وعندما برز شريف خارجًا ليرى إلى أينَ توجّه؛ لم يجدْ له أي أثر.

****

في حي على أطراف مدينة القاهرة، وفي مبنى صغير لا يلفتُ الأنظار, تعلوه لافتةٌ معلقة قد يمرّ الكثيرُ أمامها دون محاولة قراءتها، ومَن يقرأها قد لا يستوعب معناها أو لا يهمّه ولا يشغل بالَه محاولةُ معرفة دلالته.. ((المركز الدولي لدراسات مصادر الطاقة المتعددة)).

وبداخل المركز, كان كلّ الطاقم العامل به لا يتعدّى خمسة أفراد فقط، جميعهم تمّ انتدابهم من كلية العلوم للعمل به, وإعداد رسائل الماجستير والدكتوراه, وتطبيق الجزء العملي بها في هذا المركز، ويرأس المركز د. محمد إسماعيل, الأستاذ الشهير بكلية العلوم, والذي يُعد نموذجًا فريدًا لا شبيه له.

بدأ هذا المركز بمعونةٍ دولية ومشروع عالمي, له مراكز متعددة عبْر الكثير من دول العالم, وذلك في محاولة إيجاد طريقة يُمكن بها جذب الصواعق واستخلاص الطاقة منها، فيما يشبه عملية شحن البطاريات, وذلك بامتصاص طاقتها المهولة.

استمرت الدراسات لمدة عامين, وفجأة توقف التمويل العالمي لأسباب مجهولة، حاول د. محمد إسماعيل مراسلةَ تلك الهيئات البحثية مرةً عبر القنوات الرسمية وأخري بمراسلات شخصية لمَن يعرفه منهم عبر المؤتمرات العالمية التي شارك فيها. وكان الجواب هو الصمت التام, وأنّ المشروع انتهى بالنسبة لهم في مركز مصر وعدة دول أخرى, ولأسباب لا يمكن الإفصاحُ عنها.

وكان التطور الطبيعي لهذا الأمر هو إغلاق المركز بشكل تامّ, رغم المبنى الذي تم تصميمه بشكلٍ خاص يتناسب مع أقسامه وطبيعة عملها، رغم الأجهزة الحديثة جدًّا والتي تم جلبُها خصيصًا لتناسب المستهدف منها ومن المركز ككلّ.

والأعجب أنّ تلك الهيئات العالمية لم تسأل أو تطالب بردّ قيمة المبنى, أو تحاول بيعَه, ولم تسأل كذلك عن الأجهزة به. والأكثر غرابة.. أنّ الجهات الرسمية المصرية هي أيضًا لم تعرِ الأمر اهتمامًا, وكأن كلّ هذا لا يعنيها.

وهنا بدأ د. محمد إسماعيل في التحرك.. مشروع علمي ضخم وكبير, وفيه النفع للبلدِ كلها وللشعوب العربية والإسلامية على وشك الانهيار بسبب توقف التمويل.

لديه المكان والأجهزة, وينقصه فقط الرواتب لمَن يعمل به.

حاول مع إدارة الجامعة لتبنّي المشروع, ولكن أي أمر يتعلق بالإنفاق يكنْ أمامه الكثيرُ من المحاذير، وفشلت كلّ محاولاته لجعل المشروع تابعًا رسميًّا لأي جهة بحثية مصرية.

وهنا قام بتجميع طاقم العاملين به، أخبرهم أنه سيبدأ الإنفاق على المشروع من جيبِه الخاص، وستنخفض الرواتب كثيرًا.

ولكن الهدف الأسمى يستحقّ منه ومنهم كلّ تضحية.

وتقلَّص فريق العمل بالمركز بدلًا من خمسة عشر فردًا غيّره إلى خمسة أفراد به, وفقط.

واستمر العمل بجدية ومثابرة لا مثيل لهما, وبينما هو منهمكٌ في العمل على جهازه؛ إذا بشريف يستأذنه في الدخول. ترك د. محمد ما بيده, وتهلّل وجهه وهو يقول له:

- أهلًا بطالب الهندسة العبقري الهمام.

كان شريف متحرجًا وهو يقول له:

- معذرة د. محمد لتعطيلي إياك، جئت فقط لأخبرك بأنّ الندوة الثقافية بكلية الهندسة عندنا يوم الأربعاء القادم الساعة الثالثة والنصف عصرًا, ونرجو مشاركتك معنا بها بإذن الله.

ابتسم د. محمد إسماعيل, وقال له:
- لا يمكنني رفضَ طلب لك أنت ود. بدر الدين غازي عبقري الإلكترونيات بكلية الهندسة.
وبينما يهمّ د. محمد باستطراد حديثِه مع شريف, انطلق أزيز أحدِ الأجهزة، فأشار لشريف أنْ يتنحى جانبًا لكي يرى قراءة هذا الجهاز، وما إنْ تحرك شريف جانبًا حتى ارتفع أزيزُ عدة أجهزة أخرى, وأضيئت شاشة حمراء بتقطع ممّا جعل د. محمد ينسى تمامًا تواجد شريف بالمعمل وهو ينطلق ويقوم بالعمل سريعًا على أحد الأجهزة.
كان الجوّ متوترًا بقوة كأن هناك هجومًا حربيًّا وشيكًا على المكان، وشريف لا يفهم أو يستوعب أي شيء.
ووجدَ أنّ أفضل حلّ هو الخروج من هذا المكان في هذا التوقيت الحرج، فانسحبَ بهدوء.
ومن العجيب أنه فورَ مغادرته للمكان توقّفت كلّ الأجهزة عن ضجيجها, واستقر المكان كما كان منذ عامين كاملين لم تحدثْ فيه هذه الظاهرة العجيبة.

*****

كان شريف بجوار الدكتور بدر الدين غازي أستاذ الإلكترونيات بكلية الهندسة, والأخير يقول له:
- رائع يا شريف؛ فقد أنجزت الدائرة التي طلبتها منك في زمنٍ قياسي، والآن حُقّ لك أن ترى التجربة الأولى لكشفنا الرائع.

وقام الدكتور بدر الدين بسرعة بوضعِ الدائرة التي أخذها من شريـف وزرعَهـا بموضعِ لوحة كبيرة تشـبه كثـيرًا اللوحـة الأمّ للحواسـيب, وبعـدها أطفـأ ضـوء الحجرة التي يعمل بها. وقال له:

- الآن, سنرى ميلاد نتاجِ جهدٍ بسيط لطلبة وأساتذة كليـة الهندسـة, وبخامـات مصرية, وتـم تصـنيعها بالكامـل هنـا دون اسـتيراد القطـع الجـاهزة, ومحاولـة تركيبها وتجميعها وفقط.

كان بيده شيء يشبه الريموت, فضغط على زرّ به، فإذا بأربعِ قطع موزّعة عـلى أركان الحجرة تومض ببطء، ثم يصدر منها شعاعٌ يتجه لمركـز الحجـرة ليتلاقـوا سويًّا, وفي مشهد يخالف كلّ قواعد انتشار الضوء، بدأ كـلّ شـعاع يلتـف حـول الآخر بشكل حلزوني، وما إنِ اكتمل الاندماج حتـى تغـيّر اللـون مـن الأزرق الى الأخضر, ثم اختفى تمامًا للحظة ليظهر بالموضع شاشـةٌ مجسّـمة تعـرض عرضًـا مسجلًا من قبل بإحدى كاميرات الفيديو, ولكن بشكلٍ يجعل المشاهدَ بإمكانـه الرؤية من جميع الزوايا بشكلٍ واضح مهما كانت درجة الانعكاس.

هتفَ شريف قائلًا بانبهار:

- أكثر من رائع يا دكتور بـدر, هـذا إنجـاز علمـي رائـع، ولكـن تـرى مـا هـي تأثيرات الإلكترونيات المنبعثة من هذه الأجهزة على المحيطين بها من البشر؟

نظر الدكتور بدر بتقديرٍ للفتى الذي طرح سؤالًا هامًّا ونبيلًا, وقال له:

- اطمـئن يـا ولـدي نظريتـي تعتمـدُ عـلى كشـف عالمنـا المصري الرائـع أحمـد زويـل في العمـل عـلى أشـعة الليـزر واكتشـافه لوحـدة الفيمتـو ثانيـة، ولكـنْ

بتعديلٍ طفيف بحيث يصبح تأثير أجهزتي على البشر وكل الإلكترونيات شبه معدوم، فلا يوجد شوشرة مثل التي تحدث إذا اقترب الجوال من أي جهاز، ولا يوجد أي آثار ضارة على العين أو أجساد المحيطين، ويمكنك التقدم ومحاولة لمس الصورة للتجربة.

وتقدم شريف بكلّ ثقة الى الأمام, ومدّ يدَه محاولًا لمس الصورة.

ولكن..

فجأة ارتعد بقوة, كأنما أصابه مسٌّ كهربي بقوة ألف فولت, وانفجرت الأجهزة الموزعة بأركان الحجرة لتختفي الصورة, وليسقط شريف بمركز الحجرة فاقدًا الوعي, ونبضه يتداعى, وأنفاسه تخفُتُ بسرعة.

****

كان الدكتور بدر الدين غازي يطرق بابَ الممر الضيق أمام غرفة العناية المركزة بمنتهى القلق والألم لأجل شريف وما حدث له، والذي لا يعلم ما هو تفسيره حتى الآن.

هو يثق بتجربتِه وإنعدام الضرر فيها.. وما حدث لشريف يخالف ويناقض تمامًا كلّ القواعد العلمية التي درسها ويقوم بتدريسها.

وبعد سويعات اطمئن تمامًا على استقرار صحة شريف وتعديه مرحلةَ الخطر، فطمأن والدته الباكية, وأخبرها بأن جميع مصاريف علاجه تمّ دفعها مسبقًا ومنحها رقمه للاتصال به إذا جدَّ جديد بالأمر، وانطلق بسيارته, وعقلُه يكادُ أن يجنّ.

فعقل العالم لا يمكنُ أن يعرف للاستقرار طريقًا عندما يواجهه كلّ هذا الغموض أمام تجربة يثقُ مسبقًا من نتائجها.

ولهذا وجدَ أنّ أفضل حلّ لذلك؛ طلب المساعدة من عقلٍ آخر جبار, بيده معرفة أكثرَ في مجال الطاقة ومصادرها.

إنه د. محمد إسماعيل أستاذ كلية العلوم, والذي قابله مبتسمًا ومرحبًا, وهو يقول له:

- عالمنا الجليل د. بدر الدين غازي في معملي المتواضع.. هذا شرفٌ كبير لي.

احتضنه د. بدر الدين وقال له:

- كفاك تواضعًا يا رجل.

وبعد عبارات الترحيب والامتنان, قاله له د. محمد إسماعيل:

- ترى ما هو سببُ الوجوم البادي عليك, والذي دفعك للمجيء إليّ، هل ما زالت تلك الجامعة الأمريكية تزيد في المغريات لدفعك إلى الهجرة والعمل بها؟

هزّ د. بدر الدين رأسَه نافيًا, وقال بمرارة:

- لا, لقد توقفوا منذ أمدٍ بعدَ أن أيقنوا استحالةَ ذلك، إنما أريدك في تفسير ظاهرة عجيبة لا أجدُ لها تفسيرًا حتى الآن.

واندفع د. بدر يقصّ عليه الأمر بتفاصيله. وهنا برقت عينا د. محمد إسماعيل, وقال له بحماس:

- دون أن تدري, فقد حللت لي لغزًا يؤرق مضجعي, وعجزت عن وضع أي تفسير له، فهكذا قد اجتمعت الخيوط لتوضيح كلّ هذه الأعاجيب عندي وعندك.

اعتدل د. بدر الدين, وعدّل منظاره, وملامحُ وجهه تموجُ بالتساؤل. فـانطلقَ د. محمد إسماعيل قائلًا بنفس الحماس:

- مـن الأبحـاث السريّـة التـي أضْـفتها في هـذا المركـز بجـوار دراسـاتِ الطاقـة المستمدّة من الصواعق وتقنينها، دراسات حول الإشـعاعات المنبثقـة مِـن تلـك الصواعق في محاولةٍ لتوليد طاقـةٍ ذريـة بـدلًا مـن المفـاعلات النوويـة التـي في حاجةٍ إلى تكلفةٍ وإمكانات لا نطيقها, ومِن السّهل كشفها ومطاردتها عالميًّا من قـوى الشر الدوليـة، وإذْ بي منـذ أسـبوعين فقـط, ولأول مـرة تصرخ الأجهـزةُ باكتشاف انبعاثٍ إشعاعي قوي جدًّا؛ ظننت بأنّ اللحظة قد حانـتْ وأنّ الجهـد لم يضِعْ هباء، ولكنْ فجأة كما انبعثتِ اختفتْ قبلَ تحديد مصدرها، ومـا زلـتُ مِن يومها أبحث عن ذلك المصدر المجهول الذي يحملُ هـذه الطاقـة العجيبـة، والآن فقط بدأتُ الشكّ ومحاولـة الوصـول إلى مصـدرها ومَـن حاملهـا، أعتقـد بشكلٍ كبير أنه العاملُ المشترك بين الحـدثين عنـدي وعنـدك، وياللعجـب.. إنـه شريف ولدنا!!.

****

بعد شهر, وعند عودة شريف لسابقَ عهده, وبعد معرفة سرّ ما حدث لـه مـن أساتذته؛ كان يسير يشملُه الرعـب مـن أي جهـاز كهـربي، كأنمـا الاقـتراب منهـا سوف يدمّره، فقد جرّب ألمَ التأثر بها، ولهذا وكما أقنعه أساتذته يجـب دراسـة الأمر بشكل علمي كامل.

وها هو جالس بكلّ بساطة على ذلـك الكـرسي في معمـل د. محمـد إسـماعيل, وتركَه يقومُ بتوصيل كلّ هذه الأجهزة به.

وعندما همّ د. محمد إسماعيل بتشغيلها، أغمض شريف عينيه, وأخذ يردّد بعض الأدعية وآيات القرآن بخفوتٍ شديد.

وأخيرًا, أضيئت شاشات الأجهزة، وبعد دقيقة واحدة

صرخ د. محمد إسماعيل, وهو يقول:

- مستحيل.. لا يمكن هذا.

اقترب منه د. بدر الدين غازي, وهو يقول له:

- هل الأمر مذهلٌ لهذه الدرجة؟

أشار د. محمد إلى شاشات الأجهزة, وقال بإحباط شديد:

- للأسف.. الأمر أكثر من عادي؛ فالشاب مثله مثلي ومثلك, ولا يوجد أي تغير لديه, ولا حتى انبعاث حراري زائد عن المعدل الطبيعي للبشر!

شعر د. بدر الدين بنفس الإحباط, وقال له:

- لقد عدنا إذًا إلى نقطة الصفر!

هزّ د. محمد إسماعيل رأسَه بحيرة, ورأسه تموجُ بألف فكرة.

شريف هو العامل المشترك الوحيد بين ظاهرتين عجيبتين,

وأبسط قواعد البحث العلمي تقول بأنّ تفسير الأمر غالبًا لديه؛ ولهذا يجب دراسة ذلك.

وبعقل تحليلي رائع, بدأت التساؤلات لديه تنطلق...

إذا كان شريف هو مصدرَ ذلك الانبعاث الإشعاعي؛ فمن أين ينطلق هذا الإشعاع لديه؟

فقد يكون هناك مراحل كمونٍ عنده, ولا ينطلق إلا في حالات معينة.

وبكل حماس, اشتعل كيانه بالحركة السريعة، فراجع التسجيلات السابقة حين انطلقت صفارات الإنذار، وقام بحسابِ كمية الإشعاع المنبثقة، وبدأ يخطّ عدة معادلات لمعرفة مساحة الجسم الذي انطلق منه هذا الإشعاع، ومن معرفة الحجم يمكن تحديد الجزء أو العضو الجسدي الذي يذهب لفحصه على وجه التحديد.

ولدهشته.. وجد- بالفعل- أنّ الإشعاع انطلق من جسم حجمه لا يتعدّى بضع سنتميترات قليلة جدًّا, أي أنه من الصعب جدًّا استنتاج أي عضوٍ أو جزء هو المسئول عن ذلك. ولهذا يجب عليه الاستعانة بأهل الخبرة في ذلك لعملِ الفحوصِ اللازمة التي تساعد في كشف غموض هذا الأمر.

وعلى الفور, سطع أمام عينيه الطبيبةُ الماهرة والباحثة العبقرية في علم الأنسجة.. إنها د. شيرين حامد, ابنة أخيه.. فهي أكثر مَن يمكن ائتمانها على هذا الأمر.

****

اعتدلت د. شيرين ونزعت نظارتها الأنيقة, ووضعتها جانبًا بعد أن قرأت جميع نتائج التقارير الطبية للفحوص المتعددة التي خضع لها شريف، وزمّت شفتيها وهزّت رأسها وهي تقول موجهةً الحديث لعمّها:

- كل النتائج سلبية، شريف طبيعي جدًّا بنسبة مائة بالمائة, ولا يوجد أي جسم غريب بداخله, ولا حتى ذرات خفيفة.

نظر د. محمد إسماعيل إلى د. بدر الدين بحِيرةٍ شديدة,

وقال له:

- هل يعقل أننا كنّا نسير في الطريق الخطأ طوال الوقت؟! معنى هذا أنّ الظاهرتين منفصلتان, وكلٌّ منّا يجب أن يسير في مسار وحده.

وهنا, لم يجد شريف مناصًا عن أن يتوجّه بالحديث إلى د. شيرين قائلًا:

- هل معني كلامك هذا أنّ الأزمة القلبية والصدمة التي تعرّضت لها لا يوجد أي مؤشرات لتكرارها بعد كلّ هذه الفحوص الكثيرة؟!

قالت له باهتمام:

- على حسب النتائج أقول لك لا، ولكن كرأي خبير أقول لك قد تتكرّر إذا عادت نفسُ الظروف التي تعرّضت لها.

ثمّ برقت عيناها بقوة, وقالت في صوت مرتفع:

- لقد وجدتها. أنتم تبحثون في المكان الخطأ بالفعل منذ البداية، لماذا ذهبتم إلى أنّ سبب الانبعاث الإشعاعي كان بداخل شريف, وليس خارجه؟

انعقد حاجبا الجميع متسائلين, فاستطردت موضحةً مقصدها, وقائلة:

- لماذا لا يكون هذا الجسم برفقة شريف؛ أي أنه شيء كان بجيبه أو في حقيبته؟

وهنا صرخ شريف قائلًا:

- أنت عبقرية بالفعل يا دكتورة، لقد وجدتُ الحلّ أنا هذه المرة بفضل فكرتك هذه.

****

كان رامي يجول بغرفته سريعًا وبلا هدف, ويهزّ يديـه بحـيرة شـديدة، شـهران كاملان وهو على شفا الجنون, وتنتابه أعراضٌ عجيبة, وتحدث معـه أمـور غـير منطقية.

بدأ الأمر ببعض التغيرات النفسية التي تجعله يتقبّل كلّ شيء بسـاطة, وينقـاد بسرعة لكلّ أمرٍ يوجّه إليه.

وبعدها, ولأول مرة يفشل في أحدِ الاختبارت والمسابقات التـي اعتـاد عليهـا في ذلك الموقع العجيب.

وأخيرًا, توتر أعصابه المستمرّ وعصبيته الزائدة, ثم عودة تمـرّده السـابق, ولكـن لأول مرة يكن تمردًا كاملًا؛ وهذا ما نتجَ عنه صفعةٌ من أبيه ارتجّ لها كيانه مـع تردّد صداها بكلّ المنزل.

وكبرى المصائب، فقدانه لجوّاله الحديث الذي حصل عليه كجائزةٍ على عبقريته في اختراق المواقع، ولا يدري أين ولا كيـف فقـده، ظـلّ يتـابع تلـك المسـابقات عسى أن يفوز بآخر؛ ولكن بدلًا مِن الجـائزة ظهـرَ لـه مطلـبٌ غريـب لم يفهـم مغزاه حتى الآن، فبعد أن اخترق الصفحة المـرادَة في أقـل مـن خمـس دقـائق, ظهرت له عبارةُ الفوز مع جملة أنّ الجائزة هي تنفيذ التالي

((المبيت الليلة على سطح عمارتك, مهما كانت الظروف الجوية..)).

هزّ رامي رأسه بتعجب لهذا المطلب الغبي، ثمّ نفض رأسَه وأغلق جهازه, وهـو يقول:

- ياللسخافة! يبدو أنّ هذا الأمر قد فقدَ رونقَه.

وعند دخوله مسابقة اليوم التالي، كان يتوجّب عليه إجابة سؤال للبدء فيها، وكان السؤال هو: ((ما هو شعورك وأنت تتقلب ليلًا في العراء؟)).

أجاب رامي ساخرًا: ((هو نفس شعور فأر مسلوخ يتقلب مساءً في مقلاة زيت سيارات قذر, وبدرجة 500 درجة سيليزية)).

ودخل المسابقة..

ولأول مرة كان الفشلُ رفيقَه.. ممّا زاد من غيظِه ونقمته وتوتره وعصبيّته.

وها هو منذ قليل كان يحاول الولوجَ لدخول الموقع مرةً أخرى عسى أن يسترد كرامته, ولكنِ انقطع التيار الكهربي كعادته؛ فظلّ يجوب حجرته بمنتهى التوتر والقلق.

وأخيرًا, ترك المنزل هاربًا لأقرب مقهى إنترنت.

*****

بدأ الأمر بدخول ذلك الشابّ النحيل إلى المقهى, وبكل هدوء الدنيا جلس على جهازه، ورغمَ أن عينيه كانتا مترددتَيْن بشكلٍ يدل على توتر خفي، إلّا أنه احتفظ بذلك الهدوء في كلّ ما قام به، وانتابتني الحيرة ولسبب غامض لا أدري كنْهَه قمتُ بفصل التيار الكهربي لينتفض واقفًا, وليظهر حقيقته الخفيّة, وليختفي بعدها ناسيًا خلفه هذا الجوّال العجيب، والذي احتفظتُ به عسى أن يعود ليأخذه, ولكنه لم يظهر بعدها، وهذا الجوّال هو ما كان برفقتي في المرّتين.

اختتم شريف كلامَه بهذه العبارة في حديثه مع أستاذيه

وبهذا كشف غموض الأمرِ كلـه, وبـدأ البحـث يأخـذُ منحًـى جديـدًا, وسـلّمهم الجوّال ليقوموا بالفحص اللازم له.
وأخيرًا بدأت حياته في الاستقرار, وعاد لعمله لأول مـرة منـذ أمـدٍ وهـو يشـعر بالسكينة وهدوئه السابق.
ولكنّ ذلك لم يدمْ كثيرًا, فبعد نصفِ الساعة فقـط.. إذا بـه يجـدُ ذلـك الشـابَّ النحيل صاحبَ الجوال أمامه..
إنه رامي.

****

كان د. بدر الدين غازي يقف بمعمل د. محمد إسماعيل وهو يقول له في حيرة:
- لقد فحصت الجوال فحصًا إلكترونيًّا كـاملًا, ولم أجـد بـه أي شيء عجيـب أو غريب, غير أن ماركته مجهولـة تمامًـا، حتـى أني قمـتُ بالبحـث عـن شركتـه في شبكة الإنترنت, ولم أجد أي معلومـات عنـه أو عنهـا، والخـط الـذي بـه يعمـل للاتصال بعدّة أقمار صناعية وليس قمرًا واحدًا؛ وبالتالي لا يمكن تحديـد شـبكة اتصال معينة يكن هو تابعًا لها. ابتسم د. محمد إسماعيل, وقال له:
- أنا وجدت كلّ الأعاجيب يا عزيزي.
فالجزء الذي نزعته منه بعد تحديد أنـه مصـدر الإشـعاع فيـه قبـل أن أعطيـك الجوال، وجدت فيه أهوالًا، ويا ليتَ الأمـرَ توقـف فقـط عـلى مسـألة الإشـعاع العجيبة هذه.

جلس د. بدر الدين غازي وقد اتسعت عيناه دلالةَ اهتمامه الشديد, وتشوقه لمعرفة التفاصيل، وقال لصديق عمره:

- كلي آذان صاغية.. هات ما عندك.

- أولًا.. بفحص مصدر الإشعاع به, وجدت أنه لا يمكن كشفه إلّا عند تشغيل الجوّال، فلو أنك فصلت الطاقة عنه يدخلُ في مرحلة انتقال وتغير خصائص عجيبة, بحيث لا يمكن لأي جهاز فحص إدراكُه، وهذا يفسّر كيفية مروره دون كشفِه لدى المطارات والموانئ.

ثانيًا.. كمية هذا الإشعاع رغم درجة إنذارها العالية, إلّا أنها ضئيلة جدًّا, وحسب الدراسات العلمية المفترض أنها لا تسبّب أضرارًا للبشر إلا بعد التعرض لها لعدة سنين بشكلٍ مستمر.. ثمّ تنهّد بقوة, وقال:

كل ما فات لا شيء يُذكر أمام الكشف الأخير، فمصدر الطاقة الإشعاعية هذا ليس هدفًا, وإنما وسيلة.

بمعنى أنه مجرد مخزن طاقة لتشغيل شيء آخر, وهو إطلاق موجات كهرومغناطيسية عجيبة حتى الآن فشلت تمامًا في تحديد ما الهدف منها, أو ما هي آثار ونتائج التعرض لها، ولهذا لم أجدْ بُدًّا من العودة لسبل البحث القديمة.. فئران التجارب. وفات يومين كاملين الآن لتعرّض ذلك الفأر لموْجات مركّزة من ذلك الجهاز العجيب.. وهيا سويًّا لنرى النتائج, وتوقف الاثنان مذهولين أمام نتيجة التجربة.

*****

وفي نفس التوقيت, كان شريف- بكلّ ثبات, ودون أن يظهر عليه أي خلجة تشير إلى ما يعتملُ به- يتعامل بكلّ بساطة مع رامي الذي طلبَ منه

البقاء على أحدِ الأجهزة السريعة، فسمح له بالدخول إلى جهازٍ آخر غير الذي كان عليه في المرة السابقة، فمِن الواضح أن هذا الشاب قد نسي تمامًا ما حدث بالمرة السالفة, وربما هذا السبب الأكيد في عدم عودته ليبحث عن جوّاله، فلن يجلسه على نفس الجهاز ليرى شيئًا به قدْ يذكره بما حدث ويدفعُه للسؤال أو المطالبة بالجوّال قبل انتهاء الأبحاث عليه.

وانطلق شريف مباشرةً إلى الجهاز الرئيسي ليرى عليه كلّ التحركات التي سيقوم بها، وكان أولُ تحركٍ مُريب بالفعل؛ فقد قام بتعطيل مضادّ الفيروسات على الجهاز، ثمّ بدأ التصفّح بشكلٍ عادي لا يوحي بأي شبهة، وبينَ الفينة والأخرى كان يضغطُ زرًّا أو زرّين، ثم دخلَ لأحد مواقع المحاورات، وأخذ يجري حديثًا عاديًّا مع أحدِ الأشخاص عن كرة القدم وأحداثها.

كان الأمر عاديًّا، ولكنْ توصّل شريف إلى بُغيته التي أكّدت حدسَه السابق، فتعطيل مضادّ الفيروسات هو الخطوة الأولى لأمرٍ خفي، ودراسة الجوّال هي التي ستكشفُ هذا الأمر بتفاصيله، ولهذا اتّصل مباشرةً بدكتور محمد إسماعيل ليخبره بالخطب، وإذا بأستاذه يصرخ فيه قائلًا:

- لا تدعه, وحاول اصطحابه إلينا بأي شكل وبأي حجة؛ فالأمر جللٌ بالفعل.

****

كان رامي يسير بجوار شريف, وتنتابه مشاعرُ عدّة متناقضة.

كان فرحًا بأنه سيجدُ جوّاله، فبينما كان يعملُ على جهازه ليفتحَ ما يشبه برنامج المحاورات, والذي لم يكن إلّا وسيلةً لوضع أكوادٍ معينة بشكلٍ لا يلفت الانتباه، إذا بشريف خلفه ويضعُ يده على كتفه، ارتعدَ فجأة فقدْ ظنّ بأنّ شريف قد كشفَ ما يفعله، وقال لشريف بحدّة:

- ماذا هناك؟

قال له شريف بمنتهى الجديّة:

- ألا تريد جوّالك الذي نسيتَه هنا بالمرّة السابقة؟

اتسعت عينا رامي في دهشةٍ غير مصدق لما يسْمع، أخيراً سيجد جوّاله العجيب والثمين؛ فكانت الموافقةُ الفورية على أي شيء يطلبه شريف حتى يحصلَ عليه، ولذا كان الانطلاق برفقته بمنتهى السلاسة إلى معمل د. محمد إسماعيل.

وعندما تساءل رامي إنْ كان شريف قد استخدمه, أو لماذا لم يحاولْ أن يتصل بأحدِ الأرقام المتواجدة به للوصول إلى صاحبه؟ ذكّره شريف بأنّ الجوال كان به شاشةٌ توقف محميّة بكلمة سرّ منعت أي محاولة استخدامٍ أو استكشاف ما به حتى نفذَ شحن بطاريته, ولا يوجد شاحن معروف يصلحُ له كوسيلةٍ بديلة للشحن غير شاحنِه الأصلي، ورغم فرحة رامي بأنه سيجدُ جوّاله أخيراً؛

إلّا أنه كان يشعرُ بخوفٍ غامض لا مبرّر له.. الأمر غير طبيعي.

لماذا انتظر شريف هذا كلّ هذه المدة, وتركه يدخلُ للموقع, ثم قام بعدها يسأله عن الجوال...

لماذا لم يسأله مباشرة فوْر أن رآه؟!

ويجيب محاولًا أن يطمئن نفسَه قائلًا: ربما كان يتذكّر ويتيقّن أنه أنا، فقد نسيتُه منذ أمدٍ بعيد, وهو يوميًّا يدخل إليه الكثيرُ من البشر.

ويسأل نفسه ثانية: لماذا لم يحتفظ بالجوّال في هذا المكـان؟ مـن الطبيعـي أنـه سيستخدمُه حتى ظهور صاحبه, وبالتالي يجب أن يكون برفقته.

ويجيب نفسه مصبّرًا بأن يقول: ربما لم يستطع استعماله؛ فحفظَه ببيتـه بعيـدًا عن محلّ عمله.

وظلّ هكذا تنتابه التساؤلات الكثيفة.

ولكن كان يتغلّب على تخوّفاته برغبته الشديدة في الحصول على جوّالـه الـذي يثقُ بأنه لن يحصل على نسخةٍ أخرى منه بعد ذلك أبدًا؟

وعندما وصل إلى مركـز د. محمـد إسـماعيل, طـارت كـلّ المـبررات مـن رأسِـه, واكتنفه رعبٌ شامل، فهذا ليس بمنزل ولا بمكان يمكنُ أن يحتفظ فيه المرءُ بـأي جوّالات أبدًا,

وعندما همّ أن يلتفت هاربًا؛ إذا بيدِ شريـف القويـة والثابتـة تمسـكُ بمعصـمه بإحكام.. وبعينين صارمتين, قال له شريف:

- لا تخف، أنا لم أكذبْ عليك، وجوالك بالداخل بالفعل.

ولكنْ كان أثرُ هذه الجملة مغايرًا للهدف منها؛ فقـد تضـاعفَ خوفُـه بالفعـل, ولكنْ لضعفه وجبنه لم يستطعِ المقاومـةَ, ودخـل, وركبتـاه تعزفـان سـيمفونية جديدةً بارتعاشهما المستمرّ.

دخل إلى مكتب د. محمد إسماعيل الذي نظر إليه مندهشًا للوهلة الأولى مِـن ضآلة حجمه، فرحّب به بعبارة مجاملة عادية, ثمّ دعاه ليجلس على كرسي أمام جهاز خاصٍ حاولَ رامي تفحّصـه, ورغـم الموقـف.. وبسـخريّته المعتـادة, سـأله قائلًا:

- ما هذا؟ أهو كرسي الاعتراف؟

ضحك د. محمد إسماعيل رغمًا عنه, وقال له:

- اعتبره كذلك؛ لأن مصلحتك الشخصية تستدعي أن تقصَّ علينا أمورًا كثيرة بالتفصيل، وأهمّها كيف حصلت على ذلك الجوّال؟ ومنذ متى وهو معك؟ وما هي الأعراض الغريبة التي انتابتك بعد اقتنائك له؟

ولأنّ الأمر كان أشبه بتحقيقٍ من تحقيقات المخابرات أو أي جهة أمنية، ومع جوّ الرعب والغموض الذي يحيط برامي, ولخوفه من التعذيب بالصّعق الكهربائي أو بأي شيء من الأجهزة العجيبة هذه التي تملأ المكان؛ فقد ذكرَ لهم كلّ الأمر بتفاصيله.

*****

هيئة سرية ودولية تحاول السيطرةَ على العقول البارعة لدفعها لعملٍ ما بشكلٍ لا إرادي!

ما هذا الكلام الكبير جدّا؟!

كان عقل رامي يموجُ بهذا التساؤل, وهو يتذكر كلمات د. محمد إسماعيل, وكيف أنّ الجوال يرسل إشاراتٍ كهرومغناطيسيةً تتناغم مع الإشارات الكهربية للمخ فقط, ويصبح الجوّال بعدها مثلَ جهاز لاسلكي يبثّ إشارات للمخ وفقط. وأنّ السيطرة عليه كانت تتمّ عبر ذلك الموقع المشبوه, وبما يشبه الإدمان المتسلسل, ثم الخضوع بعد ذلك لما يرادُ منه.

وأنّ هذا تفسيرُ الحالة النفسية الغريبة التي انتابته, والتي دفعته للاستسلام التامّ في كثيرٍ مِن المواقف بما يتنافى مع طبيعته, وبعد فقْدِه

لجوّاله تمّ التحرّر مرةً ثانية, ولأنّ عملية السيطرة لها شطران: الجوال, والعمل على الموقع, وبفقد أحدهما حدثَ الاضطراب الذي خرج برامي من تحت السيطرة، ولكن مع توتر وعصبية لا مثيلَ لها.

وقد كان المطلب الذي ورد إليه ليبيت على سطح منزله لم يكن سوى تجربةٍ أولية لمعرفة مدى الاستجابة للأوامر الحركية.

وفي اليوم التالي, كان السؤال عن شعوره بالمبيت في العراء, لم يكن سوى محاولة لمعرفة النتيجة, وهل فعلها أم لا؟

وكانت النتيجة سلبية, ولهذا فشل في الاختبار.

ولكن مِن الرائع أن هذه المنظمة لا توجد لديها وسيلة مراقبة محكمة, وتعتمد على ردود الأفعال, والدليل على ذلك عدم اكتشافهم لفقْد الجوّال, والذي يعتقد أنه الطراز الأول, وأن التجربة ما زالت في مراحلها الأولى؛ ولهذا يجب التحرك السريع لكشف أبعاد هذه المؤامرة.

وما زال رامي يذكر جملة شريف الصارمة:

- إياك ثمّ إياك.. ثمّ إياك، أن تحاول فعل أي شيء مريب, أو محاولة اختراق مواقعهم, أو أي ردّ فعل يظهر لهم أنك تحرّرت, أو اكتشفتَ حقيقة الأمر.

هزّ رامي رأسه, وهو جالس أمام جهازه بمنزله، وهو يتذكّر حروف جملة شريف الأخيرة.

ورغم تذكّره أيضًا لمشهد الفأر الذي اهترأ مخّه تمامًا..

بدأ أولى خطوات اختراق ذلك الموقع, والمفترض أنه مستسلم أمامه تمامًا.

****

مثلُه مثلَ عقول كثيرةٍ عبقرية لم تجدْ مَن يوظّفها التوظيف السليم, كان عقل رامي يعمل بسرعةٍ لا مثيل لها.
هو الآن يعلمُ بثقةٍ أن هذا الموقع ما هو إلّا سيرفر كبير لتحقيق مخططٍ أكبر؛ لذا وبعملية تمويه جديدةٍ هو مبتكرُها.. كان يقوم بإظهار أنه يقوم بحلّ مسابقاتهم في الاختراق.. ولكن كان الجهدُ مضاعَفًا؛ فقد كان يخترق الصفحاتِ المطلوبةَ بنفس التوقيت.
ولأنّ البيانات المنطلقة مِن جهازه إلى سيرفرهم هُم يروْنها مأمونةً؛ انطلق داخل السيرفر بشكلٍ عكسي؛ ليتكشّف له الأمرُ شيئًا فشيئًا.
كان يبذل جهدًا مضاعَفًا وخارقًا. كان الأمر يشابه تمامًا أن يُطلب منك قيادة سيارةٍ بسرعة فائقة لتصل إلى هدف في توقيتٍ معين وهو صعبٌ جدًّا. وفي نفس التوقيت, يجب أن تنظرَ إلى الخلف لتتابع أمرًا هامًّا بكافة تفاصيله, تركيز مزدوج بما يخدم الهدفين.
ولأن شخصية رامي على شبكة الإنترنت مناقضة تمامًا لحقيقته في الواقع؛ فكان يقتحم بمنتهى الجسارة.
ولعدة مرات كان يتمّ تنفيذُ الاختبار المطلوب منه, ثمّ تختفي الصفحة قبلَ تمكّنه من الوصول لشيء.
ولكنْ كان الأمر يصبح أسهلَ في كلّ مرة عن سابقتها,
ففي الأولى يستكشف الجديد, أمّا الثانية فقد علم أين يضع قدميه.
وهكذا.. وأخيرًا في المرّة العاشرة, فعلها بمنتهى النجاح.
استطاع اقتحام لوحةِ تحكم السيرفر؛ ليجد أنها لوحةٌ كبيرة تشكّل التحكم في كثيرٍ من المواقع المؤمّنة بعناية فائقة, ومن المستحيل اختراقُها.. هو العبقري الذي فعلها مستغلًّا غفلتَهم عنه.

فمن الصعب أن يقتحمَ عدوُّك بيتك طالما أنتَ متيقّظ العينين له، أمّا إذا حاول فِعْلها مَن تأمنُ جانبه, وعينك غافلةٌ عنه؛ سيكون هذا أسهلَ آلاف المرات، رغم التحصينات القوية.

أخذ رامي يدرس الأمرَ بهدوء, وجد أنّ هناك صفحات كثيرة ومخصّصة لكلّ دولة على حدة؛ ممّا يؤكد نظرية المؤامرة, وأن هناك منظمةً كبيرة وراء كلّ ذلك, وكان همُّه الأكبر هي مصر.

ومن العجيب أنه وجد صفحتين فقط لمصر..

إحداهما مخصّصة له.. والثانية..

توقف بتعجّب أكبر أمامها؛ فهي ليست صفحة عادية أبدًا, فهي أشبه بموقعٍ كبير منفصل له كثيرٌ من لوحات التحكم والسيطرة, والتحصيناتُ حولها أكثر من الجميع.

ابتسم رامي بظفر.

إذا دخلت قرية, ووجدت كلّ البيوت بها متشابهة, ولكنْ وجدتَ قصرًا منيفًا حوله حراسات مشددة, وهو الوحيد الذي يتميّز بذلك؛ على الفور ستعلم بأنه منزلُ الزعيم.

وهكذا فقد توصل رامي بسرعة لقائد هذه الإمبراطورية, والعجيب أنه من مصر.

ولهذا..

أخذ رامي يدرس كلّ هذه التحصينات حوله, وخرج ليعود إليه في مرة تالية وقد استعدّ لها.

وبعد يومين, كانت المحاولة الأولى لدخول ذلك القصر المنيف.

توقف رامي كثيرًا أمام جهازه, وكأنه مقبلٌ على معركة الحسم, ونظر إلى المصباح الكهربائي, وكأنما يحدث التيار الكهربي به قائلًا:

((أقبل يديك وقدميك.. لا تفعلها هذه المرة فقط)).

وانطلق.. وكانت أول معلومة مذهلة لرامي أنّ التحصينات كانت حولَ لوحة التحكم وفقط للموقع.. وبمجرد الدخول, يجد كل شيء ميَسّر.

وللصدفة, كان ذلك الشخص المستهدف جالسًا في نفس التوقيت أمام جهازه, ولم يكن هناك أي تحصينات, أو أي وسائل وقائية معه.

كان الأمر متناقضًا بقوة.. كيف يتوفّر الأمن القوي فقط على لوحة تحكم الموقع, وبعد ذلك كلّ شيء سهل ويسير.

ربما هي النظرية الخاوية إياها.. أن جدران القصر هي الأهمّ ولا يمكن اختراقها, وهذا يدفعك لأنْ تلغي كلّ التحصينات الاحتياطية الداخلية الأخرى.

وما إن علم رامي بأنّ جهاز هذا القائد يحتوي على كاميرا وهي مفتوحة الآن؛ فقدَ حسّه الأمني تمامًا, وقام بفتح هذه الكاميرا في شوقٍ شديد لمعرفة مَن هو هذا القائدُ المغوار, وكانت صدمته التي كادت أن تذهبَ به.

فمِن شدة دهشته, عاد بظهره للخلف بقوة, حتى أنه سقطَ بكرسيّه محْدِثًا دويًّا قويًّا ارْتفع على إثره صوتُ أبيه بنفْس الجلجلة قائلًا:

- عملت إيه يا واد يا رامي يا ابن الـ.....

*****

كان رامي مستلقيًا على ظهره, ويخبط قدميه ببعضهما البعض كأنما يصفق بهما, وهو يقهقه بقوة, ويقول مِن بين ضحكاته:

- منظمة رهيبة وعالمية تسيطر على العقول وتدمرها!!. العملية تحتاج إلى نور الدين محمود, لتبرق عيناه ويكتشفَ حلّ اللغز، وأدهم صبري ليحطّمهم جميعًا برصاصةٍ واحدة وجدَها صدفةً في درعه الواقي وهو يهرش.

يا أولاد الذين.. ووكْر سري مليء بالأجهزة الغريبة وتحقيقات غريبة, وجوّال عبارة عنْ قنبلة ذرية.. كلّ هذا والأمرُ لا يتعدى مجرد لعبة تافهة!

وأخذَ يتذكّر ما وجده حين فتحتْ له شاشة الكاميرا لزعيم التنظيم على الجانب الآخر.

كان يتوقع أن يجدَ شخصًا أصلع الرأس, تختفي إحدى عينيه خلف عصابة سوداء, ملامحه يتقاطر منها الشرّ, ولكن..

تنهّد رامي بقوة, وأغمض عينيه وهو يتذكّر.. عينان واسعتان يتراقص بينهما الموجُ الأزرق في سحرٍ خاص لمْ يستطعْ نسيانهما بعد, ووجْهٌ صغير ملائكي جميلٌ, معقود الحاجبين في تحدٍّ لشيء لا يدريه..

فقد كانت فتاةٌ صغيرة السن, تملأ وجهها براءةُ الدنيا, وكل علامات الحسْن والرّقة.

ولأنّ جمالها أخّاذ لم يره من قبل, وأعجبه حركتها اللذيذة عندما رفعت قبضتها المضمومة لأعلى دلالةً أنها نجحت في أداء شيء ما، فقد أرادَ أن يتفحّص جهازها, ويرى ما به.

وطوال ساعتين قلّب كلّ قشة بأركان جهازها, ولم يجد أي ملفٍ غريب أو عجيب, ولا حتى برنامج غامض, ولا يوجد أي حماية على جهازها, ولا أي ملفات أو بيانات شخصية سوى أنها تدخل مواقع الحوارات باسم مُستعار هو ((عين القط)).

الآن, فهم حقيقة الأمر..

الأمر لا يتعدّى لعبة عالمية جديدة عبر الإنترنت مثلّها مثل لعبة ترافيان أو كونكر الشهيرة, والتي تغرق الإنترنت بإعلاناتها, وهي مخصّصة بالفعل لكلّ دولة على حدَه.

وبالطبع لا بدّ من بعض الجوائز وهي أجهزة غريبة لا نعلمها, وتصادف بها هذه التركيبات الجديدة.

وقد كانت الحماية قويةً على سيرفر اللعبة لأنّ هذا حماية للعبة نفسها ورُعاتها, أمّا تلك الفتاة لا شيء, ولهذا جهازها بسيط وعادي, ولأنه يعشق السيطرة وإثارة الخوف في بنات هذا السن؛ فقد قام إلى جهازه وبدأ في معاكستها بجعل شاشة جهازها سوداء تمامًا, ويخطّ أمامها عبارة:

- هيا يا قطة إلى سريرك, فقد حان موعدُ نومك ولا تنسي غسيل قدميك جيدًا قبل النوم, وإلّا ستعاقبك الميس فوزية بالضرب عليهما.

وأخذ يقهقه وهو يرى حاجبيها اللّذين انعقدا بقوة, ثمّ نظرة قوية توجّهت بها عيناها إلى الكاميرا, وأصبحا كأنهما مركزتان على عينيه مباشرة.

وفجأة, اختفت الكاميرا فقد أطفأتها الفتاة, وخطت أمامه عبارة سريعة تقول:

- وأنت يا ننّوس، متى سيحين موعدُ نومك؟

توقّف رامي برهةً أمام ردّ الفعل القوي هذا, والـذي لم يعهـدْه مـن قبـل, ولأنه يعشق التحدي الغير مباشر؛ فقد اندفع للحوار معها ومبارزتها.
قال لها:
- أولًا.. أغلقي باب موضعِ وضع الأسطوانات المدمجة بجهازك.
وضحكَ وهو يتخيّل مشهدها وهي ترى البـاب يـتمّ فتحـه وحـده, ولكـنْ صدمَتْه بجملتها التي تقول:
- دعك من كلّ هذه الألاعيب الطفوليّة, وأخبرني ما هو مطلبك مِن وراء كلّ هذا؟ أمْ أنك شخصٌ جبـان منطـوٍ, لا يمكنـك مواجهـة أي موقـف واحدٍ حقيقي في حياتك؛ فلجأت للهروب إلى عالم افـتراضي تظهـرُ فيـه كعملاقٍ وأنت تعرف حقيقتَك المُرّة, وهي أنك حشرة.
ولأول مرة يستطيع أحدُهم أن يستثيرَ غضب رامي بهذا الشكل, فقد ضغطت جملتُها بقسوة على جرحه؛ فقال لها بمنتهى الغضب:
- إن كنت أنت شجاعةً بالفعل, وقوية كما تدّعين بعباراتك هذه؛ قابليني بعـدَ ساعة واحدة في المكان التالي.. وإذا لم أجـدك فـاعْلمي أنـه لـن يمكنـك فـتحَ أي موقع إنترنت لمدة أسبوع كامل لتعلمي مَن هو أسطورة الموت والدمار.
وبلا أي مقدمات أتَتْه جملتها:
- هيا إلى المكان, ولا تضيّع وقتك في أي كلام زائد.
وأغلقت هي مصدرَ الطاقة عن جهازها مبـاشرة, ورامـي جـالس في موضـعه لا يحرك ساكنًا, فهذا موقف لم يتعرّضْ له من قبل أبدًا

*****

كان رامي يقف في مكانٍ يبعد قليلًا عن المقهى الذي يعمل به شريف, فهذا المكان الذي حدّده لها.

وبالطبع, لم يعرْ ذلك المقهى أيّ اهتمام, ولم يحاول الاتصال بشريف أو إخباره بأي شيء بعد أنِ اتّضح له أنه كان يتعاملُ مع مجموعة من المعتوهِين الذين يظنّون بأن الكون ما هو إلا ساحة للمؤامرات والحروب الخفية. فقد أثرت عليهم أفلام الحركة والمسلسلات الأمريكية الجديدة التي تصوّر بأن هناك دومًا قوًى خفيّةً تسيطر على كلّ مقاليد الأمور.

وقف رامي مترقبًا وصولها وهو يعتمدُ على معرفته السريعة بها؛ لأنه رأى صورتها ويعلم ملامحها جيدًا.

وكان ينتظر صبية تأتي متردّدة وحائرة تتلفّت ذات اليمين وذاتَ اليسار بحثًا عمّن يشير إليها أو يناديها, إلا أنه فوجئ بفتاةٍ تماثله طولًا, ترتدي ما يشبه العباءة المفتحة الجوانب, وأسفلها بنطال واسع ويزيّن وجهها حجاب دقيق ملتف بعناية حولَ رقبتها. كانت تشابه كثيرًا الصورة التي تنقل عبر نشرات الأخبار لمسلمات أوروبا.. وكانت مغايرة تمامًا للصورة التي رآها عليها بدون الحجاب عبْر كاميرا جهازها.

توقفت لثانيتن, وبكل ثباتٍ فحصت المكان حولها, ثم تقدمت نحْوه بلا ذرّة تردّد.. ورامي تنتابه الدهشةُ كيف تعرّفت عليه بهذه السرعة وتلك البساطة.

وتوقفت أمامه, ووضعت يديها بخصْرها, وقالت له بصوت قوي:

- والآن يا أسطورة العبث والهذيان, ها قد أتيت إليك، ما هو مطلبك التالي؟

ما زال رامي يذكُر اليومَ الذي حاولَ فيه التقرّب من إحدى زميلاته, وكان ردُّها رومانسيًّا حالمًا رائعًا.

فقد صفعته صفعةً ما زال صداها يتردّد بأذنيه, ومِن يومها لم يكرّر المحاولة أبدًا.ا

وكان انتقامُه الجبار بعدها أن يتخيّلهن وهنّ يرتعدنَ أمام سطوته وقوته خلف شاشاتِ أجهزتهنّ.

واليومَ الذي يطلبُ فيه مقابلة إحداهن تكنْ بمثل هذه القوة والثبات، حتمًا لن تكون النتيجةُ في صالحه, فقال محاولًا تغيير دفةِ الحديث وبشيء من المرح:

- هل يعقلُ أنّ فتاة في سنّكِ, وبمثل أدبك تخرج ليلًا هكذا لتقابل شخصًا مجهولًا, لا تعرف عنه شيئًا؟!

ما زالت الفتاةُ بنفْس وضعِها الثابت, وبنظرة التحدي التي تملأ عينيها قالت له:

- لأني أثق بقدراتي والتدريبات التي واظبتُ عليها في التايكوندو والكونغ فو.. فلا أخشى شيئًا.

ارتعدت أهدابُ رامي, وابتلع ريقه بصعوبة، فالأمرُ الآن سيتعدى مرحلة الصفع بكثير، فقال مازحًا:

- الأمر كلّه لا يستدعي ذلك، فقد كانت مجردَ دعابة لا أكثر.

أشارت اليه الفتاة بأصبعها محذّرة, وبصوتٍ هادر لا يفتقرُ للرّقة, قالت له:

- حسنًا يا أسطورة الجُبن والاستهتار، لقد جئت لهدف واحدٍ, وهـو إنهـاء ذلـك العبث الذي تفعله، أحذرك للمرة الأخيرة أن تحاول مرة أخرى فعـلَ مـا فعلتَـه معي أبدًا، هناك إجراءاتٌ قانونية كثيرة يمكنني بها ملاحقتَك وضياعَ مسـتقبلك وإخفاءك في مناطق بعيدة كثيرًا عمّا وراء الشمس، وبعد أن رأيتُك أقول لك إنه يمكنني الآن تلقينك درسًا ستظل آلامُه المبرحـة تـذكّرك لمـدة عـامين قـادمين ألّا تكرر فعلتَك تلـك، فـما رأيـكَ هـلْ تفضّـل الحلـولَ العمليـة, أم سـتلتزم الأدبَ بنفسك؟.

مع العلم أني قادرةٌ على الضّرر المباشر لك ولأهلك وبصورٍ متعددة.

قال رامي بتردد:

- لأنك بمثل هذا الجمال ولأدبك العالي؛ سأتوقف وأعدكِ ألّا أكرّرها.

وبلا أي حرف زائدٍ أعطتْه الفتاةُ ظهرها, وانطلقت, ورغم جبنه وخوفه وتردّده؛ إلا أنّ سحرًا خاصًّا لدى هذه الفتاة جعله يتْبعُها بعينيـه موقنًـا أنّ معهـا رفقـةً تستقوي بهم, وهذا مبعثُ قوتها وثباتها.

ولدهشته لم يجدْ؛ مما أغراه بتتَبعها من بعيد ليرى مِن أي منطقـة هـي، فمـن الواضح أنها تسكنُ بمكان قريب.

وظلت هي تنحرفُ من شارع لآخر, ومن حارةٍ لأختها دون أن تحاول اسـتقلالَ أي وسيلة مواصلات.

وبينما هو يسير سريعًا ليلحقها بتلك الحارة التي انحرفـت بهـا, وعنـدما همّ الدخول بها؛ علِمَ بأنها على النتّ اسمٌ على مسمّى.. عينُ القطّ؛ فقـد وجدها أمامَه بـنفس الوقفـة القويـة, وكعادتهـا.. يـداها عـلى خصريهـا,

وبعينيها الزرقاوين المتألقتين رغم الظلمة, واللتيْن تتحـديان العـالم كلـه, وهـي تقول له ساخرة:

- كنت أعلمُ أنه يجب تلقينُك درسًا عمليًّا كي تقتنع.

ونادت بأعلى صوتها قائلة:

- أسطى حمادة!

وارتجفَ رامي رعبًا, وهو يرى ذلك العملاق يبرزُ أمامه بوجهِه القاسي, وندباتِـه المتعدّدة التي ترسم خريطةً إجرامية على ملامحه.

وبساعديْن قويّين منعقدين أمام صدره, وخلفه ظلٌّ كبير ممتدّ قال لها بصـوتٍ أجشّ زلزلَ كيان رامي:

- أعيننا في خدمتك يا أستاذة.

ضحكت الفتاة ضحكةً متهكّمة, وبنفس ثقتها المعهودة انطلقـت دونَ أن تعـيرَ الموقف كلّه أدني اهتمام.. ورامي أشار إليه بيديه, ولكـنّ صـوته احتـبس تمامًـا, ولم يخرج منه حرف.. وقبل أن تسيل منه دموع الخوف؛ إذا بمَن يناديه, وكـان هو طوقَ النجاة الحقيق, وملاكَه الحارس في هذا الموقف.

*****

كان شريف يصرخُ في رامي قائلًا:

- أيها الغبي, أنت لم تكنْ تستحق إنقاذك مِن ذلـك البلطجـي, فقـد شـاهدتك وأنتَ تحادثُ تلك الفتاة وبشكلٍ مريب، فتبعتكُما لأرى ما الأمـر، وتـدخّلت في الوقت المناسب, وأنقذتك هربًا على درّاجتي، وصدق حدْسي فقـدْ ضـيّعت كـلّ الجهود التي تبذل الآن لمعرفة حقيقـة الأمـر، ألمْ نحـذّرك بـألّا تحـاول فعـل أي شيء مريبٍ على ذلك الموقع؟!

ورغم جبنِك وخوفِك خالفتَ التعليماتِ واخترقته بل وتعديت كلّ ذلك لخطوةٍ كبيرة على أرض الواقع.
إذًا, فلتقابل ما سيحدثُ لك.. فأنت تستحقه بالفعل.
قال له رامي بعصبية:
- كفَى يا عمّ المنقذ للأكوان، الأمرُ كله مزحةٌ, ولعبة ولا يوجد ما يستحقّ اجتماع المغامرين الخمسة لأجله..
وها أنت رأيتَ زعيمةَ المؤسسة السرية، فتاةٌ عادية وجهازُها أقلّ من العادي، هل تحاولَ إقناعي بأن تلك السحليّة خلفها مؤسسةٌ كبرى تحميها وتنفّذ تعليماتها, وتسطير على أركان العالم!!
كلّ هذا لأنّ ذلك البلطجي يعرفها, وأراد ضربي لأجل عيونها الجميلة، أفقْ يا هذا مِن خرافاتك التي تسيطر عليكَ أنت وأستاذيْك المخبوليْن، وشكرًا لإنقاذك إياي، وأطلب منك التخلّي التام عني الآن، وسوف أواجِه كلّ تلك المنظمات المتآمرة وحدي.
ضغط شريف على أسنانه بغيظ, ولم يدرِ ما يقول له, فأشار لأول الحارةِ التي يسكن بها رامي, وقال له:
- تفضّل.. ولا أريد رؤية وجهك الآن.
أشار له رامي مودّعًا, وما إن التفتَ ليتوجّه بسيره إلى بيته,
إذا بانفجارٍ مدوٍّ وألسنة اللهب القوية تنطلق من إحدى شقق تلك الحارة, وبالتحديد مِن الشقة التي يسكنها رامي برفقة أبيه.

*****

كان رامي جالسًا فوق سرير شريف, وهو يضمّ ساقيه وفخذيه إلى صدره, ويخفي وجهه بينهما، ورغمًا عنه انتفض بقوةٍ حينما طرق شريفُ البابَ ليستأذن قبل الدخول إليه حاملًا معه طعام الغداء, وكالعادة ظلّ يحايله ما يقرب من نصفِ السّاعة حتى يتناول أي شيء يسدّ رمقه.

فبعد مشهد الانفجار الذي لم يرَ مثله سوى بأفلام المغامرات، وبعد أن فقد والدَه.. والدُه الذي كان يظنّه مصدرَ تعبه والتضْييق عليه, وإذا به الآن يكتشف بأنه كان كلّ دنياه ومصدرَ الأمن والأمان له.

صحيح أنه كان كثيرَ الضرب له منذ صغره, ودومًا يقابله بوابلٍ من الشتائم بحجةِ تربيتِه تربيةً جيدة؛ لأنه الولد الوحيد, إلّا أن مجرد رؤيتِه لوالده كلّ يوم كانت تجعله ينامُ قريرَ العين دون أن يحسبَ ما الذي ينتظره بالغد.

الآن ذهب كلّ ذلك, ليته يعود ليضربه كما شاء, ليسبّه وقتما يحبّ.

المهمّ أن ينتهي ذلك الرعب الذي يكتنفُه بشكلٍ غير مسبوق؛ فهو مختبئ بمنزل شريف منذ ذلكَ اليوم، ولم تراودْه الجرأة لأنْ يخرج منه, إلا يوم أن تمّ استدعائه رسميًّا إلى قسم الشرطة الذي يحقّق في الأمر، وكما تمّ الاتفاق مع شريف, سيذكر لهم كلّ التّفاصيل, ولكن بشكلٍ مختلف بحيث يخرجُ من الصورة د. محمد إسماعيل ومركزُه حتى لا يغرق في بحرٍ مِن المشاكل التي لا تنتهي, وقد تتسبّب في إغلاقِ المركز.

وكانت روايةُ رامي أنه كان يعمل على موقع إلكتروني وجاءه ذلك الجوّال كجائزة. وعندما حاول اختراقَ الموقع وجدَ ما وجد، وظنّ بأنها مؤسسة تسعى لأمرٍ مريب, وظنّ بأنْ قائدَتْه تلك الفتاة فتتَبّعها، وبعد تحذيرها مباشرةً له بأنها قادرةٌ على ضررِه هو وأهله؛ حدثَ ما حدثَ مِن انفجارِ المنزل في الموعدِ الذي كان مِن المفترض به أن يكون قد وصل

إليه، لولا نقاش شريف المحترم معه، وأنه بعد الانفجارِ مباشرةً تعطّل الجوّال, ولم يعد يعملُ, وكأنما قد أصبح قطعةً من الحديد وفقط.

وهذا ما فعله..

وتوقع أنه سيتمّ استدعائه أكثرَ مِن مرة بعد يكتشفوا حقيقة الجوال وما به مِن مخازنَ طاقة نووية.

ولكنْ.. والعجيبُ أنه قد مرّ قرابة الشهر, ولم يتمّ استدعائه سوى لإخباره بنتيجةِ التحقيقات, والتي جعلته يعقدُ حاجبيه بدهشةٍ حقيقية.

فنتيجةُ التحقيق خرجتْ بأنّ سبب الانفجار هو تسرّب الغاز الذي عبق جميعَ أركان الشقة, ومع شررٍ لم يتمّ تحديدُ مصدره اشتعلت النيرانُ فجأة بكلّ مكان, وانفجرت أنبوبةُ الغاز ممّا أدى لوفاةِ أبيه وسط النيران.

وبالبحث في الموقع الإلكتروني والسيرفر الخاصّ به وجدوا أنه موقع عادي جدًّا للمعلومات العامة, والسيرفر خاص ببعض الهواة, وليس به أي شيء ممّا وصفه لهم.

وحتى الجوّال كان مجردَ جوالٍ عادي جدًّا لا يوجد به أي شكلٍ غريب ولا مخازن طاقة نووية, وأنّ فقط ماركته هي الغريبة؛ لأنه واردٌ من خارج مصر ومِن دولة غير معلومة.

وتم إقفال المحضر, وبالطبع وقّع رامي على ذلك, وعاد إلى منزل شريف وهو يتلفّت حوله.

والأعجبُ من ذلك أنّ شريف قد أخبره بأنه ذهبَ بنفسه ليتحرّى بتلك الحارة التي ظهرَ بها الأسطى حماده, ولم يجد أي حرفي أو بلطجي بهذا الاسم في تلك الحارة, وكل الشوارع القريبة منها.

اختفت كلّ الآثار, وانْمحت بشكلٍ غريب, وكان مـن أغـرب تلـك الأشـياء التـي حدثتْ هو توهّج الجوّال فجأة بأكثر من لـونٍ أمـام د. محمـد إسـماعيل أثنـاء فحصه,

وكان هذا الحدثُ بنفس توقيت انفجار شقة رامي

وبعـدها اختفـت منـه كـلّ الإشـارات الإلكترونيـة, وتعطّـل تمامًـا عـن العمـل. وبعرضه على جهاز رصد الإشعاعات لم يسجّلْ أي إشارة إيجابيـة, ولهـذا تـم إعطاؤه لرامي كي يسلّمه للشرطـة أثنـاء التحقيـق معـه؛ عسى أن يكـون دلـيلًا إيجابيًّا, ويمكنهم منه استخراج أي شيء جديد, ولكن كانت النتيجة سلبية بكل أسف.

ووسط رعبٍ وإحباط رامي لم يكنْ هناك أي ضوءٍ أو خيط يمكن تتبعه, وكانت نصيحة د. محمد إسماعيل لشريف أن يكونَ بجوار رامـي الفـترةَ المقبلـة حتـى يتعدّى مرحلة الصدمة, وبعدها يمكـن البـدءُ مِـن جديـد؛ لأنّ مركـزَ الأحـداث وتجمّع كلّ الخيوط عند رامي, ولا يمكـن العمـلُ وسـطَ سـكونه وكُمونِـه بهـذا الشكل.

*****

- لقد بحثتُ كثيرًا, وحاولت تعلّم بعض أساليب الاختراق لـكي أجـد أي وسـيلة يمكنُ بها تتبّع ذلك الموقع أو الوصول إليه، ولكنْ مهما فعلت لنْ أبلـغ معشـار ما تعلّمتَه أنت، وأثقُ ثقة تامة بأنك الوحيدُ الذي بإمكانه معاونتنـا لكشـفهم مرة أخرى، لذا أستحلفُك باللـه يا رامي أن تتعاونَ معي.

نطق شريف بالجملة السـابقة في محاولـةٍ جديـدة لحـثّ رامـي عـلى التّحـرك، ولكنْ كالعادة جاوبه الصمت؛ فانفعل شريف, وقال له:

- حسنًا, إن كنت تخشى التحرك بسبب خوفك أودّ أن أخبرك بأنّ عـدم تحرّكـك هذا ليس في صالحك؛ لأنهم حتمًا لن يدعوك وشأنك، وسيصلون إليك بأي شكلٍ كان، لذا بدلًا مِن أن تنتظر ولا تدرى مِن أين ستأتيك الضربـة يجـبُ عليـك أن تفعل شيئًا يكشفهم، وأعدكَ بأن نتحرك ونفعل ما تشير به بعيدًا عنـك, وبمـا لا يمسَّك، فقط أعطنا أيَّ معلومة تساعدُ في ذلك؛ فأنتَ دخلـت إلى عقـرِ دارهـم, وحتمًا رأيت شيئًا يمكنه إرشادك لمقرّهم مرة أخرى، ألَا يعنيك الثأر لأبيك؟

ارتفع رأسُ رامي فجأة بمجـرد ذكْـر أبيـه، ولكـن عـادَ ليخبئـه مـرةً أخـرى بـين ساعديه، والتقطَ شريف بسرعة بديهتِه أنّ ذكـر أبيـه هـو الـوترُ الحسـاس لأي تغيّر قد يحدث، فبدأ العزف على ذلك، فقال له:

- ما هي درجةُ حرارة النيران وهـي تشـتعلُ فيـه رحمِـةَ اللــه، كـم مِـن الآلام لاقى؟ كم من المشاعر عاني؟ كيف كان حاله حـين تفحّـم؟ هـل لـو انعكسـت الآيةُ وكنتَ بموضعه أنتَ ماذا سيكون موقفه؟ وهل كان سيترك قاتليـك هكـذا يمرحون دون أي ردّ فعل إيجابي؟ أنا لا أقول لك اذهب وواجِه النيران بصـدْرك, بالعكس فهذا منتهى الخطأ, وأنـا دومًـا ضـدّ أن نـدفع المـرءَ للسـباحة عكـس خصائصـه النفسـية، إن كنـت سريـعَ الخـوف فيمكنـك القتـال والنجـاح دون مواجهة ما تخشاه بشكلٍ مباشر, كما كنت تفعل من قبـل عـبر الإنترنـت ودون أن يوقعك أحدهم.

رفع رامي رأسَه والدموع تغرق وجنتيه, وهو يقول لأول مرة بصوت متهدج:

- لقـد كنـت أظـنّ ذلـك، وكـالأحمق انـدفعتُ إلى حصـنهم وأنـا أظـن بـأني أخدعُهم، وقد نسـيت تمامًـا بـأنهم هـم أول مَـن اقْـتحم جهـازي مـن البدايـة

ولم يفعلها سواهم، فكيف لي بالتغلّب عليهم؟ والملف الذي زرعته بجهاز تلكَ الفتاة كنتُ أظنّ بأني سأصطادها به، فإذا بها هي مَن تصطادني، صدّقني لا قِبَل لنا بهم, والأفضلُ تجنُّبهم.

ارتسمت ابتسامةٌ عريضة على وجْه شريف, وقال له:

- زرعت ملفًا بجهاز الفتاة، هل تقصدُ أنه مثل حصان طروادة؟ إذًا يمكننا الوصولُ إليها بسهولة، ومن خلالها يمكن كشفهم.

هزّ رامي رأسه نافيًا, وقال له:

- ثقْ بأننا لن نصلَ لشيء, فهذه الفتاة تتبعهم, وربما هي المسئولة عن قطاعٍ كبير يخصّ مصر كلّها رغم صغر سنها, ففي الدقائق القليلة التي تعاملتُ معها فيها رأيتُ أنها ليست أبدًا بالعادية، وأنتَ بنفسك رأيت نتائجَ تهديداتها لي، وبالتالي كما تمّ التخلص من كلّ الآثار؛ حتمًا تمّ محو ذلك الملف.

كادَ شريف أن يناقشَه في أمرِ تلك الفتاة, وأنه من الصعوبة أن تكون متعاونةً مع أي منظمات, وأن كل ما حدث مِن قبيل الصدفة، ولكنِ اترُكْ ذلك جانبًا وركّز معي في أمر ذلك الملف.

وقال له:

- حسنًا, ما دمت تثقُ بأنه تمّ محْوه، فحتمًا لا خطر عليك بالمحاولة في كشْفه، ما رأيك أن نقومَ بتجربة واحدة فقط, ومن مكانٍ عام وبعيد يصعبُ تتبّعه، افعلها فقط لأجل أبيك.

*****

في أحد مقاهي الإنترنت المزدحمة بمدينة دمنهور, وبعد سفر طويل جلسَ رامي أمام جهازٍ سريع, وفي ركنٍ ناءٍ ظنّ المشرفُ على المكان بأنهما يريدانه لمشاهدةِ المواقع الخليعة؛ فزاد عليهم في السّعر.

قال رامي لشريف:
- الملف الذي زرعته ليس عاديًا، فموضة حصانِ طروادة هذه أصبحت شهيرةً, ويكشفها أيّ مضاد فيروسات بسهولة، وقد وضعتُه وسط ملفاتها المهمّة جدًّا والشخصية, بحيث إذا أرادت أنْ تقوم بفورمات الجهاز يجب عليها أن تنسخَه معها وتعيدَه مرة أخرى بعد أن تطمئن بأنها محميّة تمامًا، ولكنْ يجب أن تكونَ جالسةً الآن وتفتح جهازَها, وتصلُه بالإنترنت في نفس اللحظة وإلّا فسفرنا هذا لا طائلَ منه.
قال له شريف مشجعًا:
- اطمئن, ففتاة في سنها حتمًا سيكون هذا التوقيت مناسبٌ جدًّا لها لتقضيه على النت، وهو نفس التوقيت الذي لاقتْكَ به المرّة السالفة، وسنقضي أطولَ فترةٍ ممكنة كي ننالَ منها.
بدأ رامي العملَ على جهازه، وكأنّما العمل على الجهاز له سحرٌ خاص، فقد بدأت ملامحُه لأول مرة في التحرّك لترسم شكلًا جديدًا غيْر الكآبة التي كانت تعْتريه بشكلٍ دائم.
واعتدل على كرسيّه, وقد اشتعلت مشاعره بكثيرٍ مِن الحماس, ونظر نحو شريف وقال له:
- الآن أنا مستعدٌّ لكشفها بمجرد دخولها للنّت، هذا بافتراض أنّ الملف لم يتمّ اكتشافه, وأنه ما زال بموضعِه، أمّا لو كانت حذفته فسوفَ نجلسُ هنا للأبد دون حدوثِ شيء.
أشار إليه شريف دلالةَ أنه ليس بيدِهما غيرُ الانتظار، في حين أمام سحرِ العمل في مجاله الذي يحبّه؛ تناسَى رامي كلّ تخوّفاته واندفع يبحثُ عن

تلك السيرفرات التي اخترقها مِن قبل, وأخذ يلومُ نفسه، فلو أنه زرعَ أحدَ ملفاته بتلك السيرفرات لسهّلت له عملية الوصول إليهم مرةً ثانية.
ولكنه نسي ذلك, ووضع ملفّه بجهاز تلك الفتاة بافتراض أنّها الزعيمة واكتفى بذلك، ولكنه أخذَ يحدّث نفسه قائلًا:
- ربما كان هذا من حُسن الحظ، فمع الحماية الفائقة على السيرفرات كان مِن الممكن كشفُ الملف، أمّا على جهاز الفتاة غير المحمي هناك فرصة كبيرة لبقائه.
وساءل نفسه مرة أخرى:
- ما المانع لو كنت زرعتُ ملفّين أحدهما بالسيرفرات والآخر بجهاز الفتاة؟
وأجاب نفسه قائلًا:
- بالعكس, فلو تمّ اكتشاف الملف بالسيرفرات وبافتراض أنّ الفتاة ليست تبعًا لهم فحتمًا كانوا سيتفحصون كلّ الأجهزة التي تخضع لسيطرتهم وتمحو ذلك الملف، ولو كانت تتبَعُهم لن تختلفَ النتيجة، ولهذا- وبقدرٍ معلوم- ما تمّ هو الأفضل بشكلٍ مطلق.
وبعد ساعةٍ ونصف من البحث لم يصلْ إلى أي شيء
فقد اختفى كلّ شيء بمهارة واحتراف لا مثيلَ لهما,
وحين أخبر شريف بذلك سأله قائلًا:
- هل يعني ذلك توقّف نشاطهم تمامًا؟
هزّ رامي رأسه نافيًا, وقال:

- مطلقًا, فلديهم قاعدة بيانات يمكن نقلها لسيرفرات جديدة, والعمل بمواقع جديدة مع وسائل حماية أكثر من قبل, ولا يمكن كشفها.

وفور أن أتمّ رامي جملتَه، لمعت أيقونةٌ صغيرة أمامه على شكلِ دائرة حمراء صغيرة، ولمعتْ معها عيناه, وهو يقول له:

- أخيراً, ظهرتِ يا عين القط..

وتناسى كلّ شيء, واندفع مسرعًا ليقوم بتشغيل كاميرا جهازها, ليجد مفاجأةٌ جديدة .

*****

ربتت والدة شريف بحنان على ظهر رامي, وقالت له:

- هنيئًا مريئًا يا ولدي, ولا تتردّد في طلب أي شيء مني فأنت عندي مثل شريف تمامًا.

نظر إليها رامي بامتنان وهي ترفع بقايا العشاء الذي تناوله مع شريف, وقال لها بودّ حقيقي:

- وأنا بالفعل أعدُّك مثلَ أمي التي فقدتُها في الصغر.

وانطلقت السيدةُ ولسانها يلهجُ بالدعاء له ولشريف, وبعد قليل تمدّد كلٌّ منهما يبغي النوم، وسرحَ خيالهما كلٌّ في خواطره وأفكاره..

رامي.. ما زال يذكر حينَ فتح الكاميرا كردّ فعل تلقائي اعتاد عليه دون أن يسأل نفسه لماذا يفتحُها؟ ولكن..

قابله السوادُ التامّ.

في المرةِ السابقة كان مِـن فحصـه للجهـاز قـد تأكّـد بأنـه لاب تـوب مثبتـة بـه الكاميرا, وليست كاميرا متحركة يمكن نزعُها.
لهذا اندهش عن سرّ ذلك السواد, فهو يمكنـه فتحهـا لـو كانـت مغلقـة، إلّا إذا قامت هي بتغطيتها بـأي لاصـق، وهـذا يعنـي أنهـا تنتظـره أو تتوقّـع زيارتـه، فتوقّف قليلًا يسائل نفسـه إن كـان هـذا فخًّـا للإيقـاع بـه، ولكـن تـذكر أيضًـا الإحتياطات التي اتخذها برفقـةِ شريـف لعـدم تتبعّـه بسرعـة, وذلـك بالسـفر لمكانٍ بعيد لن يعودَ إليه أبدًا، فدخل إلى جهازها بحذرٍ وتفحّص بسرعة وسائل الحماية عليه، وابتسم عندما وجد أحدَ برامج الوقاية الشهيرة والتي يتمّ تنزيلها مجانًا من النّت, والتي غالبًا ما تكون غيرَ مكتملة, وما يتم اسـتكماله منهـا بمـا يسمّى كراكات مجانية إنما هي مصيدةٌ من نوع آخر, فغالبًا ما تحمـل أفخاخًـا تسمح لصانعيها فقط باختراقِ الأجهـزة التـي تسـتخدمها، فـلا بـديلَ عـن شراء البرنامج الأصلي, وبصورة كاملة من الشركةِ الأمّ وبرقم تسلسـل حقيقـي وعـدم مشاركة الآخرين فيه.
وكادَ أن يقهقه عندما وجدَها بالفعل تستخدمُ كراك ليصبح كأنه برنامجٌ كامل، فتفحّص ذلك الكراك ووجد الثغرة التي يعلمها كل خبراء الاخـتراق، ودخـل إلى جهازها بمنتهى السلاسة, دون أن تشعرَ بشيء، أخذ يـتفحّص جهازهـا فوجـدَها قامت بعمل الفورمات فعلًا، ولكن رغمَ كلّ احتياطاتهـا مـن الفورمـات ووضـع برامج الوقاية لم تنجُ منه، فهو أسطورة الموت والدمار.
وهزّ رأسـه بـأسى عنـدما تـذكّر اسـمه فقـد اقـتربَ مـن نسـيانه بالفعـل. أخـذ يقلّــب في ملفاتهــا فوجــدَ كــلّ شيء في مكانــه ولا جديــد, ســوى بعــض

الوسائط المتعددة الجديدة والتي لا شيء فيها مريب, فذهب مباشرة إلى ذاكرة متصفّح الإنترنت لديها ليتفحّص كل المواقع التي زارتها في الفترة الأخيرة, عسى أن يكتشفَ منها الموقع الجديد الذي قامت الشركةُ بوضعه بدل القديم.

وعقد حاجبَيْه بقوة عندما لم يجدْ أي موقع جديد,

فذاكرة الجهاز لا تحملُ سوى كلّ المواقع الشهيرة وفقط, ولا يوجد بها أي موقع غريب.

عاد رامي للخلف بظهره, وعقد ساعديه أمام صدره, وهو يفكر, فسأله شريف:

ما الأمر؟

قال له بتعجب:

- هذه الفتاة إما أنها شديدة المهارة بشكلٍ غير مسبوق، أو أنّ وراءها شيء غامض ولا تدري عنه شيئًا, جهازها عادي جدًّا مثلها مثلَ أي مستخدم طبيعي, ولكن البوابة التي دخلت أنا منها لجهازها في أولِ مرة جعلتني أوقنُ بأنها غير طبيعية أبدًا.

عندما دخلت إلى السيرفرات وشاهدت ما بها، كان الأمرُ أشبه تمامًا بأن تدخُلَ مجمّعَ خازنات نقود، ووجدت كل الخازنات عادية, ومن الموديل اليدوي القديم, ولكنْ فجأة وجدتَ واحدةً من أحدث الخازنات الإلكترونية, وبها كلّ وسائل الحماية والإنذار الحديث، بالله عليك لو أنت لصّ وأمامك فرصةٌ لسرقة خازنةٍ واحدة فقط فأيّهما ستختار؟!

ضحك شريف وقال:

- نسأل الله العفو والبعد عن الحرام، ولكن أي لصّ عادي بالطبع سيذهب إليها؛ لأنّ الحماية تزيدُ حول ما هو ثمين.

أومأ رامي برأسِه موافقًا, وقال:

- حسنًا, وكيف سيكون شعورك حين تبذل الجهدَ لتفتح تلك الخازنة, وتجد بها فقط عملةً ورقية بسيطة, قد تستحقر أن تعطيها لطفل صغير متسول بالشارع؟.

قال شريف بتركيز:

- إمّا أن هناك شيئًا خفيًّا، أو أنّ هذه العملة لها قيمة ولا أدركها أنا.

قال رامي:

- هذا هو تلخيص الأمر بكل بساطة حول هذه الفتاة!

وللأسف لم أجد أي شيء على جهازها هذه المرة, ولم تقمْ بزيارة أي موقع غريب أو جديد خلالَ الشهر المنصرم.. إلّا إذا...

اعتدل شريف, وقال له:

- إلّا إذا ماذا؟

- لو افترضنا فيها سوءَ النية سأقول إلّا اذا كانت تقوم بعملها من خلال المواقع العادية وباحتراف فائق لم أصلْ أنا إلى تقنياته, وهذا يتناسب مع عقل زعيمة لشيء كهذا.

ولو افترضنا فيها البراءةَ, وأنها هي المستهدفة فربّما قامت تلك المنظمة بتطوير نفسها بحيث يقوم الموقع بحذف ملفاته من ذاكرة أي جهاز يتصفّحه بشكل تلقائي, وبهذا لم أجد أيَّ أثرٍ له.

قال له شريف باهتمام:

- وما الحلّ الآن؟

هزّ رامي رأسه بكل أسف, وقال:

- للأسف لا يوجد حلّ بهذا الشكل إلا بإيقاعها هي وجعْلها تعترف بكلّ شيء، ولا أعتقد بأنها سترضى أو تقبل بأي شيء كهذا.

سأله شريف قائلًا:

- كيف دفعتها لمقابلتك المرّة السابقة؟

ضحك رامي وقال:

- هي التي دفعتني ولست أنا مَن دفعها, فمبجرد أن ظهر لها اقتحامي لجهازها، سألتني ما المطلوب، واستفزتني لطلب شيء لم أفعلْه من قبل أبدًا وهو مقابلتها.

- حسنًا, فلتدفعها لهذا مرةً أخرى.

ارتفع حاجبَا رامي دهشةً, وقال له:

- ماذا تقول؟ ألا تتذكر نتيجة المقابلة الماضية؟! وبافتراض أنها بريئةٌ, فحتمًا ذلك الوحش الآدمي سيكون معها, والله أعلم بنتيجة المرة القادمة.

قال له شريف بحماس:

- هذه المرة الأمرُ سيختلف تمامًا، فقد ذهبت أنت بشكلٍ عشوائي ولم يكن لديك أي خلفياتٍ أو استعداد للأمر، أمّا هذه المرة فسيتمّ حساب كلّ كبيرة وصغيرة، والتخطيطُ الجيد إمّا لإيقاعها إن كانت مُريبة، أو لنصْحها ومحاولة كسبها في صفنا إن كانت بريئة، فهي الخيطُ الأخير الذي بيدنا حتى الآن.

تردّد رامي وهو يقولُ له بصوتٍ لم يستطع أن يخفي منه نبرات الخوف:

- وهل سنذهب هكذا بكلّ بساطة لشيء لا نعلمُ عواقبه؟

أمسك شريف بكتفه, وقال له:

- اطمئن؛ سأتحمل كلّ العواقب وحدي.

وأخذ شريف يشرحُ له خطتَه البسيطة التي تواردت لذهنه في التوّ، ولأول مرة ينظر رامي إلى شريف بإعجابٍ حقيقي, وقال له:

- أنت مدهش بالفعل.

وعلى الفور, قام بمحادثة الفتاةِ كالمرّة السالفة بجعل شاشتها سوداء, وتخطّ أمامها الكلمات قائلًا:

- أهلًا بالقطة التي لم تغسلْ قدميها بعد.

وأخذ يتخيّل مشهدها وهي تعقدُ حاجبيها الجميليْن, وعيناها تقذف بشررٍ غاضب، وتغيبت لحظات من أثرِ الصدمة فلمْ تتوقّع ذلك أبدًا، وخطتْ له بسرعة قائلة:

- ما المطلوب هذه المرّة؟

- لا شيء. أريد رؤيتك مرةً أخرى لشيء هام.

- حسنًا, متى؟ وأين؟

وذكرَ لها رامي المكانَ والموعد, وأعلنت له الموافقة, وأغلقت جهازها بفصل مصدرِ الطاقة عنه كالمرّةِ السابقة.

وأخذَ رامي يتقلّب في فراشه, وهو يحاول النوم, ولكنّ خوفَه الشديد حالَ بينه وبين ذلك، ولم يكنْ يدري بأن شريف كذلك يجافيه النوم, وهو يقلّب الأمر على جميع وجوهِه, ويستعدّ له.

*****

في ذلك المجمّع التجاري الشهير بتصميمه الحديث وطوابقه المتعددة ومصاعده الإلكترونية والزحام الذي لا يكادُ ينتهي فيه، ولأنّ شريف قد عمل من قبْل بأحد المحلات التجارية به فهو يعلمُ الكثيرَ من التفاصيل الخفيّه به.

وأعدّ خطته بمنتهى البراعة؛ فقد تخيّر أحدَ المحلات ذات الماركات الشهيرة بالطابق الثاني, والتي يجب أن تستخدم مصعدًا واحدًا للوصول إليه.

وكان هذا المكان المحدد للّقاء, فتوقف أمامه منتظرًا, وكان رامي بالطابق الثالث في موضعٍ يسمح له بكشفِ كلّ مَن يرتقي ذلك المصعد, وحين رؤيته لها؛ يتصل بشريف على جوّاله ليخبره بها ويصفَها له، فشريف لم يرَ وجهَها بشكلٍ كافٍ في المرة السابقة كما رآها رامي، وبعد تعرف شريف عليها سيبدأ هو الحديث وبشكلٍ جديد، كان رامي يقف خلفَ أحد الأعمدة العريضة, وهو يُمعِن النظرَ جيدًا في كلّ الصاعدين، ولكنْ لم يتوقّف توترُه الذي كان ينتابُه بقوةٍ رغم بعدِه عن كلّ الأحداث, وتوفّر عوامل الأمن بالنسبة له.

وشريف يقف, وهو يتلهّف بقوة لتلك اللحظة التي ستحسمُ كلّ الأمور، ولكن..

مرّت ساعتان دون أن تظهرَ, وحينما همّ شريف بأن يستدعي رامي لينطلقا؛ اتّصل به رامي فردّ عليه مسرعًا ليسأله قائلًا:

- أين هي؟

واذا بصوت رامي المرتعد يقول له:

- ليست هي، وإنما ذلك العملاقُ المخيف.

أخذ شريف يتطلّع حوله ليراه, ولم يجد له أثرًا فسأله بلهفة:

- أين هو؟ لا أراه!

قاله له رامي بخوف:

- لقد شاهدته صدفة, وهو يغادر الباب الرئيسي للمجمع حالًا.

قال له شريف بسرعة، إنها هنا وكانت برفقتِه، ويبدو أنّها قد تاهت عن المكان، هيّا بسرعة لنتبعَه.

وصمت قليلًا, وقد تذكّر شيئًا ثم قال له:

- حسنًا, لتبقَ أنتَ حتى أعود لك.

وفوْر أن أغلق شريف جوّاله، إذا بشخص وسطَ الزحام يضع وريقةً في يده وينطلق مختفيًا وسط الجموع, حتى أن شريف عجزَ عن تتبّعه بعينيه، كان المشهدُ خاطفًا وسريعًا ممّا جعل شريف يستغرق ثوانٍ ليفيق ويدرك ما الأمر، وعلى الفور فتح تلك الوريقة ليقرأ ما بها؛ وإذا بها موعدٌ ومكانٌ جديد للّقاء!

وهنا عقدَ شريف حاجبيْه بقوة, فهناك شريكٌ ثالث لها غير الذي رآه رامي.

وهذه البراعة في التحرّك توحي بالفعل أنّ الأمرَ أكبرُ من مجرد فتاةٍ صغيرة وبريئة، وهنا لم يجدْ بدًّا من الصعود لرامي, ويخبره بتغيّر كلّ الخطط.

*****

- الآن معك رقم د. محمد إسماعيل, ورقم د. بدر الدين غازي. في تمام الخامسة, إن لم أتصلْ أنا بك تبلغهم بكلّ التفاصيل بسرعة، وكذلك إذا شعرتَ بأي حركةٍ مريبة اطلبني مباشرة وأبلغني، وإنْ لم يكن جوّالي متاحًا فاتّصل بأحد الرجليْن، هل لديك أي استفسار عن الأمر؟

بهذه الجملة أنهى شريف شرحَ خطته لرامي قبل أنْ يذهب وحده لذلك اللّقاء، فلمْ يعد هناك داعٍ لوجود رامي معه، فمَن أعطاه تلك الوريقة هو مَن سيتوصل إليه، وجعل رامي خطَّ الدفاع الثاني في حالةِ حدوث أي مكروهٍ له.

ورغمَ رعبِ رامي الشديد من الأحداث الجارية وشعورِه بأنّ الخطرَ أقربُ اليه من حبْل الوريد، ولكنْ لم يكن أمامَه سوى الانصياع لتعليمات شريف, فلا يوجد أي بديل أمامه.

وخرج شريف إلى أمه، واحتضنَها بقوة وقبّل رأسَها ويديها وقال لها:

- سأخرج لأمرٍ هام يا أمي, وأسألك الدعاءَ بالتوفيق فيه إن شاء الله.

انقبض قلبُ أمه فوْر نطقِه لهذه العبارة، فرغم أن هذه عادته التي لم تنقطع قبل كلّ مرة يذهب فيها لإحدى مهامه, إلّا أنها ولأوّل مرةٍ تشعر بخوفٍ غامض يغلّف كلمات ولدها، فضمّته بقوة إلى صدرها الدافئ, وربتَت على رأسه وظهره, وقالت له:

- قلبي راضٍ عنك يا ولدي, ولن ينقطع دعائي لك أبدًا ما حييت، ثقْ بأنّ الـلـه عز وجل لن يخيبك لأنك معه في كل أمورك.

كتمَ شريف دمعتَه بقوة، وتصنّع الصلابة, وقال لها مبتسمًا:

- أراكم على خير جميعًا.

وانطلق إلى بُغيته.

وهناك في ذلك الموضع الذي تمّ تحديدُه له، ذهب شريف قبلَ الموعد بساعتين ليدرسَه جيدًا, ويعلم كلّ مداخله ومخارجه ومخابئه, وذلـك لـكي يترقـبْهم هـو بدلًا مِن أن يترقّبوه.كانـت بمنطقـة المقطـم, وفي جـزء شـبه منعـزلٍ بعيـد عـن العمران، ممّا يوحي بالفعل أنها محاولة للتفرّد به والنيْـل منـه, ولـيس موعـدًا بريئًا أبدًا.

كانت المنطقة بها بعضُ الأبنية التي لم يكتملْ بناؤها بعد, أو عـمارات متنـاثرة وفي مرحلة التشطيب، ولهذا بدأ شريف في دراسة الأماكن، وتخيّر المبنـى الـذي يكشفُ له المداخل والمخارج للموضع المفترض أنه ساحةُ اللقاء.

وصعد شريف إلى طابقٍ عالٍ به، وقام بتجميع بعض البراميـل الفارغـة, ورصّـها بجوار بعضها البعض حتى يحتجبَ خلفهـا، وتـرك فراغًـا بسـيطًا بينهـا بحيـث يمكنُه النظرَ من خلالها ومراقبة المكان.

وأخيرًا, استقر بمنتهى الصبر ينتظرهم, وبالفعل قبـل الموعـد بمـا يقـارب نصـفَ الساعة أتت سيارة سوداء ضخمة حديثة الطراز, زجاجها مُموّه لا يكشـف مَـن بداخلها، وتوقفت على بعد مائتي مترٍ من الموضع الذي تمّ تحديده له. وخـرج منها خمسة رجالٍ أشداء، وتوجّه كلّ منهم بشكلٍ منفرد إلى مداخل بعض تلـك المباني, واختفوا فيها بحيث يطوّقون المكان بشكلٍ تام.

ولحسن حظّه لم يدخل أحدُهم إلى المبنى الذي يختفي فيه. وهنا, تيقّن شريف من أنه فخٌّ كبير معدّ له. ولهذا ولأنه يعلم قوتَه جيدًا وإمكاناته، كان الانسحاب ُالذكي هو أفضل الحلول، ولعلمه بمدى سيطرتهم ومراقبتهم للمنطقة، ظل كامنًا في موقعه بلا أدنى حركة تكشفه, وجعل جوّاله على وضع الارتجاج دون صوتِ رنين حتى يعلم بمكالمة رامي إنْ أتت له في هذا التوقيت, وبلا ضجيجٍ يكشفه.

ومرّت ساعة كاملة خرجَ بعدها الرجال من مكامنِهم, واستقلّوا سيارتهم عائدين من حيث أتوا.

وبدأ شريف في الهروب مِن هذا المكان بعد تيقّنه من اختفائهم.

وبينما هو يحثّ الخطى مسرعًا للوصول إلى مكان مزدحم يحميه مِن وحشة هذا السكون، إذا بمكالمة من رامي..

ووسط محاولته للهروب ممّا يتهدّده، ومع توقّعه بأن اتصال رامي حتمًا يحمل له خبرًا سيئًا، ولكي يسيطر شريف جيدًا على توتره؛ ارتكن بظهره إلى أحدِ الجدران، وأغمضَ عينيه وأخذ نفسًا عميقًا وأطلقه ببطء، وأخذ يهدئ من روْعه، وبسمَلَ وحوْقَل, ثمّ ردّ على رامي بصوتٍ ثابت, وقال له:

- ما الأمر عندك؟

كان التوتر يغلف صوتَ رامي, وهو يقول له:

- أخبرني أنت, كيف حالك؟ وما الذي حدث في لقائك الغرامي؟

توقّف شريف قليلًا أمام الرسالة الخفية في صوت رامي المرتعب، حتمًا هناك أمرٌ خفي أو تهديدٌ خلفه، ردّ قائلًا:

- لقد كان فخًّا, وقد هربت منهم بعيدًا جدًّا، وسوف أوافيكم في الغد كما اتفقنا.
وإذا بصوتِ شوشرة تدلّ على أن الجوّال يتحركُ بعنف وبصوت قاٍس بارد يردّ عليه, قائلًا:
- إذا كانت تهمّك حياة أمك ورفيقك هذا، فلا تتأخّر كلّ هذا الوقت، وأمامَك عشْر دقائق لتكون أمامَنا، وبالطبع لن أذكر تلك الجملة الشهيرة بأنّ أي اتصالٍ لك بالشرطة؛ سيكون بمثابةِ الحكم عليهما بالإعْدام، وبإمكاننا الحصولُ عليك فيما بعد بألفِ طريقة.
وأُغلق الخطّ دفعة واحدة؛ ليقف شريف مذهولًا أمام هذا التطور الرهيب.
لقد كان يعدّ العدة لكلّ شيء ليكونَ الأمرُ بمنتهى الأمن للجميع, وكان لديه افتراضٌ كبير بأنه ربما يكنِ الوضعُ مخالفًا لجميع تصوراتهم، وأنّ الأمور بمنتهى البساطة ونظرية المؤامرة هي التي تسيطرُ على العقول.
ولكنْ وبكلّ أسف كان الأمرُ بالفعل أكبرَ ممّا يتصوّر الجميع..
كيف توصّلوا إلى عنوانه؟
الله أعلم.
هل تتبعوه في المرة السابقة؟
لماذا لمْ يجهزوا عليه طوال الليلة الماضية؟
أيضًا لا أعلم.
المهم أنه قد أدرك الآن بأنّ الوقت ليس في صالحه, وأنه مسلوبٌ مِن كثيرٍ مِن الأسلحة، وأهمها قدرتُه على التفكير المنظّم بسببِ ضيق الوقت وقلة الحيلة، ولهذا كان أولُ قرارٍ له أن يتمّ تقليل عددِ الضحايا قبل

المواجهة وذلك بالمساومة؛ فاتّصل مرةً ثانية على جوال رامي, ولكنه كان مغلقًا, فقد سلبوه محاولةَ المساومة.

كان شريف يحاول الإسراعَ في الوصول بقدر الإمكان, وعقلُه لا يكفّ عن التفكير المتسارع.

وتألقت الفكرة في رأسه, ولأنه طيبُ الصلة بكلّ المتاجر والورش والحلاق المجاور لبيته؛ فقد اتّصل بهم جميعًا وطلبَ منهم تجميعَ أكبر قدرٍ ممكنٍ في مدخلِ العمارة وهو على وصولٍ في خلالِ ثوان, وذلك لأنّ والدته في أزمة بالداخل وتحتاجهم.

ظنّ الجميع بأنها تعاني أزمةً صحية, فلم يتأخروا, وفوْر تجمّعهم صحبهُم شريف بسرعةٍ لأعلى, وفتح الباب بمفتاحه, وقبل أن يهدّده الرجلُ قال بصوتٍ عال:

- أشكرك كثيرًا يا رامي أن تصرّفت وجئت بطبيب لأمي، تفضّلوا يا أهلَ الحارة.

اندهش الرجل بقوة من كلّ هذه الجموع المصاحبة لشريف, ولكنه التقط بذكاءٍ مساومتَه المُبهرة؛ فهو يهدد شريف بأمّه وصديقه، وشريف يهدّده بأهلِ الحارة.

ولو حدث صدامٌ سيكون هناك ضحايا في الجانبين، وشريف يعرض عليه الانصرافَ بلا صراع، وقَبِل المساومة مرغمًا وهو يعضّ على نواجذه بغيظٍ شديد، ولكنْ بثقة في قدرته بالنجاح تاليًا، وأهل المنطقة يطمئنون على والدته التي جلست ذاهلة غير قادرةٍ على النطق لأنها لا تفهمُ أي شيء ممّا يدور حولها، في حين كانَ رامي مرتميًا بأحد الأركان, وجسدُه كله لا يتوقف عن الارتجاف.

*****

كان شريف يتحرك مسرعًا, وهو يجرّ رامي خلفه جرًّا، كـان ذلـك فـوق أسـطح المنازل المتجاورة بشبه الْتصاق في منطقة سكنه، وذلك بعد أنْ جلسَ برفقة أمّه لدقائق يوصِيها أن تـذهبَ لخالـه في الصعيد ولا تعـود أبـدًا حتـى يـأتي إليهـا، وخرجت والدتُه بصحبة النّسوة اللاتي تجمّعن للاطمئنان عليها بعـد أن ارْتـدت نقابًا يخفي ملامح وجهها، في حـين انطلـقَ شريـف بصحبة رامـي إلى الأسـطح, وبدأ رحلة الهروب من الأعلى، فمِن البديهي أنّ هناك مراقبة دقيقة ومسـتمرة لهما الآن.

وأخيرًا, وبعد أن ابتعد ما يقـرب مـن خمسـة شـوارع، قـرّر الهبـوطَ الى الأرض, واستقلال أي وسيلة مواصلات إلى د. محمد إسماعيل، وذلك بعد أن اتّصـل بـه وشرحَ له الموقف باختصار.

وعلى الفور, قام د. محمد إسماعيل بإبلاغ الشرطة أن تلميذه اتّصل بـه وأخـبره بما يتهدّده، فمجرد دخول سيارة الشرطة للمنطقة بصـوتِها المميّـز كفيـلٌ ببـثّ بعضِ القوة فيها.

وأخيرًا, تحسس شريف الطريقَ ببصره قبل أن يبرزَ مِن باب العمارة التي هـبطَ منها, وأمسك بيدِ رامي بقوة وانطلـق مسرعًـا, وقبـل أن ينحـرف يمينًـا توقّـف مصعوقًا؛ فقد كانت تلك السـيارة السـوداء الفـاخرة متوقفـةً أمامـه بحيـث أن بابَها الجانبي والعريض مفتوحٌ على مصراعيه, وبجواره يقف ذلك الرجل الأنيق بمنظـاره الـدّاكن, وهـو يبتسـم في سـخرية, ويشـير إلى داخـل السـيارة بحركـةٍ مسرحية كأنما يدعوه للدخول إليها بأناقة, وهو يقول له:

- لم تخيب ظني؛ فقد وصلتَ في الموعد المحدد.

*****

التمعت عيناها الزرقاوان ببريق الإثارة, وهي تجلس في إحدى سيارات الأجرة المرابضة بجوار الرصيف, وكأنما تنتظر شيئًا ما, وهي تستمع لذلك الصوتِ الهادئ وهو يبشّرها بما تنتظر سماعَه على أحرّ من الجمر قائلًا:

- اطمئني؛ كلّ شيء تمّ كما تريدينه تمامًا، وفي خلال ساعات قليلة سأتّصل بك مجددًا لأبلغك بآخر التطورات.

اتسعت ابتسامتها الجميلة لتملأ وجهَها وهي تقول باهتمام:

- حسنًا, سأعود إلى البيت الآن, وأنتظر اتصالك, لا تتأخّر, تعلم جيدًا كم أنا متشوقة لمعرفة آخر التطورات.

انطلقت سيارة الأجرة بها وقد غمرها شعورٌ كبير بالراحة بعد تلك المكالمة الهامّة والمصيرية لها.

******

انهمكت د. شيرين حامد أمام الميكروسكوب الحديث الذي تعمل عليه منذ أسبوع، كانت تتفحص إحدى شرائح الأنسجة لديها بعناية، وفجأة انتفضت رافعةً رأسها من فوق عدسة الميكروسكوب، وفركت عينيها بقوة لتتأكد من جودة بصرها, وعادت مرة أخرى لفحصِ تلك الشريحة وقامت واقفةً من فوق كرسيّها العالي دون أن تترك عينيها عدساتِ الميكروسكوب, وأخذت تعدل أبعادَ تلك العدسات لترى الصورة التي أمامها بكلّ الوسائل الممكنة، ولمدة ربع ساعة كاملة لم ترفع عينيها, وعندما فعلت شعرتْ بزيغ بصرها قليلًا, حتى اعتادت على ضوء الغرفة، وهزّت رأسها وهي تقول:

- مستحيل.. مستحيل تمامًا, هذا خيالي جدًّا.

وذهبت إلى ملفاتها القديمة, وأخرجت أحدَ التقارير وقرأته بعناية, وأخذت تتذكر ما رأتْه وقتَ أنّ خطت تلك التقارير.

وأخيرًا, رفعت جوّالها لتتصل بعمها د. محمد إسماعيل, الذي ردّ عليها قائلًا:

- ترى لأي أمرٍ هام تريدني أميرتي الجميلة في هذا التوقيت؟!

كان صوتُ د. شيرين مشتعلًا بالحماس, وهي تقول له:

- عمّي, لقد اكتشفت اكتشافًا مذهلًا, لن تصدقه مثلي.

شعر د. محمد بأهمية الأمر فاعْتدل في جلسته, وقال بجديّة:

- ما الأمر؟

قالت بنفس الحماس:

- سأشرح لك، ولكنْ أطلبُ منك أن ترسلَ لي الشاب المسمّى شريف غدًا باكرًا بأيّ شكل، فالأمرُ قد يكون خطيرًا بما يفوق الوصف.

*****

- حسنًا أيها الذكي، لقد أفلتت منّا أمك بالفعل، ولكنها لا تهمّنا كثيرًا فهي سيدة بسيطة لن يمكنَها وصف أو الوصول لشيء، أمّا أنتما فقد سبّبتُما لنا بعضَ القلاقل، ولهذا للأسف؛ لا بديل عن التخلّص منكما.

نطقَ بها الرجلُ الغامض موجهًا حديثَه إلى شريف ورامي، كان رامي يبكي بحرقة, ويقول له:

- أنا مستعد لفعلِ أي شيء تأمرون به، أرجوك لا تقتلني.

في حين كان شريف يقفُ ثابتًا عاقدًا حاجبيه في صمت.
هزّ الرجل رأسَه بأسف, وقال:
- للأسف, لقد فقدت فاعليتَك وفشلتِ التجربة معك، ولم تعدْ تصلحُ لشيء بالنسبة لنا، وأنتَ السبب في وقوع هذا الشابّ معك بلا طائل.
نطقَ شريف قائلًا بهدوء:
- طالما أننا سنموت حتمًا، بالتالي سنأخذ الأسرارَ معنا إلى القبور، وأتمنى الموت وقد عرفت السببَ الذي قضيت لأجله.
ضحك الرجل عاليًا, وقال:
- تعجبني شخصيتك جدًّا, وطريقة تفكيرك وسرعة بديهتك، ولكنْ للأسف لن أخبركَ بشيء سوى طريقة موتك التي لن تترك دليلًا واحدًا خلفنا، فبهذه العمارة النائية والتي هي تحت الإنشاء على أطراف القاهرة، وفي البئرِ المخصّص فيما بعد لمصعد إلكتروني بها، ومن هنا.. مِن الطابق الخامس عشر, سيتم قذفكم فيه بحيث فيما بعد يظهرُ أنه بسبب عبثِكم في أحدِ المباني النائية سقطتم به, ولقيتم مصرعكم دون أن يراكم أحد, ولن يدرك مخلوقٌ أبدًا أنه تم إلقاؤكم به عنْوَة، هذا إنْ وجدوا جثثكم.
صرخ رامي قائلًا:
- لا.. لا أريد أن أموت.
في حين جرّه الرجالُ إلى حافة بئر المصعد, ودفع أحدهم شريف بخشونة ليصحبه، وبعنف وبمنتهى القسوة تمّ إسقاطهما فيه، ورامي يتشبّث بشريف بقوة كأنما يستنجد به, وهما يهويان بسرعة فيه، وترتفع صرخاتُ رامي مدويّة.

وانتظر الرجالُ أن يسمعوا صوت اصطدام جسديهما بالأرض، ولكنْ طرقَ سمعّهم صوتُ فرقعة غريبة شبيهة بانفجار قنبلة وبصدًى غريب، ورغم ضوء النهار إلّا أن لمعانًا كبيراً ظهر أمامهم كأنما هو ضوءُ مصباح كبيرٍ انْطلق لمدة ثانيةٍ واحدة واختفى.

وبعدها سادَ السكونُ كل شيء.

وهبط الرجالُ بمنتهى الهدوءِ على سلالم تلك العمارة,

وذهبوا إلى مكان سقوطهما لمعاينة الجثث.

ولكن..

كانت المفاجأة المذهلة؛ فلم يكن هناك أي جثثٍ أو أشلاء, أو آثار سقوط, وإنما شكل بيضاوي كبير مرسوم الجدران الداخلية, وبحدود تشبه الاحتراق الكبير.

وبلا أدنى أثر لشريف أو رامي.

*****

أخذ د. إسماعيل يدور في غرفةِ مكتبه في المركز بقلقٍ بالغ، هتف د. بدر الجالسُ على المقعد الوثير في جانب الغرفة قائلًا:

- هلّا جلست قليلًا, لا أفهم ما كلّ هذا القلق؟!

لاشكّ أنهما في الطريق إلينا الآن، ألم يتّصل بك شريف ويخبركَ أنه نجحَ في الإفلات من المصيدة التى دبّرت له في البيت؟!

وأمّه الآن في أمانٍ بعد أن سافرتْ للصعيد.

ردّ عليه بقلق بالغ قائلًا:

- ألا يقلقُكَ تأخّرهما, من المفترض أن يكونا هنا منذ ساعة أو أكثر.
قال د. بدر:
- لا تقلق؛ ربما اتّخذ شريف طرقصا أخرى للتمويه, أو ربما علقَا في ازدحام الطريق.
هتف بضيق بالغ:
- لا أدرى لم لا أستطيع أن أكون مطمئنًا مثلك, هناك شعورٌ بالقلق والخوف يسيطرُ على عقلي, لا أشعر بأنهما في أمان.
قال بهدوء:
- حاول أن تكونَ متفائلًا, أنا شخصيًّا أثق بعقل شريف وتصرفاتِه, ولو حدثت أية مفاجآت فسيتّصل بنا على الفور من الهاتف المحمول الذي أعطيته إياه.
ردّ بنفس القلق قائلًا:
- وماذا لو لحقتْه العصابة؟! وإذا لم...
قطع الجملةَ وجحظت عيناه بشدة, وظهر الألم عنيفًا في ملامح وجهه, فانتفض د.بدر من كرسيّه وهو يهتف:
- دكتور, ما بك؟ أهناك ما يسوء؟ أتشعر بشيء؟
ترنّح وهو يمسك رأسَه بكلتا يديه, وقال بصوت متقطّع:
- أنا.. أشعـ..
صرخ فجأة بصوتٍ أفزع د. بدر:
- آه.. رأسي.. شريف
سقط على وجهه, ود. بدر يناديه بفزعٍ هائل ولا يجد من يجيبه.
****

أخذ د. بدر الدين يدورُ في المكان يتطلّع إلى جدران تلك الحجرة الضيقة لمـرات بعد المائة.. لم يعدْ يستطيع العدّ, كان الأمرُ أشبه بكابوس مخيف..

- لا يمكن أن ينتهي الأمر على هذا النحو.

هتف بها لرفيقه د. محمد إسماعيل المفـترش الأرض مسـندًا ظهـره إلى الجـدار يتطلّع بيأس إلى ذلك الشكل البيضاوي المحترق على جدران تلك الحجـرة التـي أصبحت أشبه بمقبرة فرعونية تحمل ألغازًا وأسرارًا تحيّر العقول.

وعندما لم يحريه جوابًا استطرد قائلًا:

- لِمَ أنـت صـامت هكـذا؟! أفصـح عـمّا يـدور برأسـك.. مـا الـذي حـدث هنـا بالضبط؟!

قال د. إسماعيل بعد تفكير:

- لا تفسير لدي الآن.

هتف د.بدر الدين بضيق:

- وإن لم يكن لديك أنتَ التفسير, فمَن سأسأل إذًا؟! أنـت الـذي أتيـتَ بنـا إلى هنا, ولا أفهم لأي سبب؟ وأنا تبعتُك وسرتُ خلف عقلك دون تفكير.

هزّ د. إسماعيل رأسَه بحيرة، فقد كان ما ألمّ به في المكتب هو ألمٌ هائل يكادُ أن يفتّت رأسـه, وبومضـات غريبـة أمـام عينيـه, وكأنهـا فلاشـات كـاميرا, وعنـدما استفاق من الإغماءة التى لفّت عقله أصرّ أن يأتي إلى ذلك المكان الغريب الذي رآه بعيني عقله قبل أن يسقطَ مغشيًّا عليه.

وتبعه د. بدر بفضولٍ شديد، ورغم أن هذا المكان لم تطأه قدماه من قبل, إلا أنه كان يعرف موقعَ خطواته جيدًا ويدركُ إلى أين هو ذاهب، بمجرد أن دخل إلى العمارة كان لديه شعورٌ قوس أنه رأى ذلك المكان مِن قبل, صعد السلم بسرعة إلى السطح, وأخذ ينظر يمينًا ويسارًا, وفي كل اتجاه, ثمّ اتجه مباشرة إلى بئر المصعد, وعندما وصل إليه أخذ يتأمّله مليًّا بصمتٍ دون حتى أن يلتفتَ لأسئلة د.بدر الحائرة, والذي لم يحصل على إجابة مقنعة لوجودهما في هذا المكان الغريب.

لكنّ د. إسماعيل لم يكن يمتلك أية إجابة مقنعة، لم يكن لديه سوى مشاعر قوية تدفعه دفعًا إلى هذا المكان، مشاعر أقوى من اليقين بأن شريف كان هنا, مؤكَّد كان هنا, وهو أيضًا وصل إلى هنا, ولكن..

بعد أنِ انتهى كلّ شيء

وبعد أن اختفى كلّ أثر

هبطَ السلم بسرعة, ود. بدر يصرخ مِن خلفه يريد إجابات لهذا الجنون الذي يفعله, لكنّ د. إسماعيل لم يردّ عليه

وصل إلى بئر المصعد وازداد يقينُه أن شريف كان هنا بالفعل, لكنْ أين هو؟ لم يكنْ هناك أي أثر له ولا لرامي في المكان!

لم يتبقَّ سوى تلك الآثار الغريبة والاحتراق الغامض على الجدران الداخلية لتلك الحجرة الصغيرة المخصصة لتركيب المصعد.

تمتَم د. إسماعيل بخفوتٍ قائلًا:

- لا بدّ أن يكون هناك تفسيرٌ لكل هذا!! أنا متأكد أن شريف ورامي كانا هنا.

وعلا صوتُه, وهو يهتف بحيرة قائلًا:
- لا يمكن أن.. (شريف!)
صرخَ بدون تفكير عندما رنّ هاتفه, فأخرجه بسرعةٍ من جيبة وردّ قائلًا:
- شريف, أين أنت الآن؟!
غمره اليأسُ والإحباط عندما ردّ عليه صوتٌ آخر:
- إنه أنا يا عمّاه, أين شريف؟ طلبت منك أن ترسلَه لي لأمرٍ في غاية الأهمية، وحتى الآن لم يأت, أرجوك يا عمّاه عليك أن تأتي الآن إلى المعمل, وتحضره معك على وجْه السرعة.
زفرَ بيأس قائلًا:
- لقد اختفى ولا أستطيع العثور عليه، إن كان لديك شيئًا فقوليه الآن, فلا وقت لدي ولا قدرة على احتمال مفاجآت أخرى.
هتفت والإثارة تنضحُ مِن حروفها قائلة:
- بل عليك أن تصغي إليّ جيدًا, وبكامل تركيزك, فما سأقوله هو حقًّا معجزة، معجزة في عصر انتهت فيه المعجزات، ويحتاجك بشدّة يا دكتور, يحتاج لرأيك وخبرتك كعالم, عليك أن تأتي الآن دون إبطاء.

*****

- أحمد الله أنْ أتيت أخيرًا.
هتفت بها د.شيرين, وعيناها تلمعان بالإثارة والشغف الهائل، واستطردت قائلة:

- لقد يئست تمامًا من استجابتك لاتصالاتي المتكررة، ذهبتُ إلى المركز على عجَل لأريك ما اكْتشفتُه, ولم أجدْك هناك.

تقدّم منها د. إسماعيل بخطواتٍ قلقة وقال بتوتر:

- ترى ماذا هناك ويستحق منكِ كلّ ذلك؟

قالت باهتمام:

- عذرًا يا عمّاه, ولكن ما لدي لا يحتملُ التأجيل, إنه مذهلٌ بكل المقاييس!

قال بعصبية:

- هات ما عندك.

قالت وهي تسير بجواره نحو المختبر بخطواتٍ سريعة:

- الأمر يخصّ شريف.

قال بضيق:

- أعلم أنه بخصوص شريف, وأعصابي لا تتحمّل أي تأخير؛ هيا بسرعة.

- ولكنْ أين د. بدر؟!

- يئس مني ومن طريقتي في التفكير, وقرّر البحث عن شريف بنفسه, أسرعي فلا وقت لدي.

دخلت إلى المختبر, وهو خلفها وأشارتْ إلى طاولة مستطيلة مرتفعة فوقها ميكروسكوب حديث, وقالت:

- انظر بنفسك, وأخبرني برأيك فيما تراه.
وقف خلف الطاولة وأمعنَ النظر جيـدًا في الشريحـة الموضـوعة تحـت عدسـة الميكروسكوب، ثمّ نظر إليها بضجر, وقال لها:
- وما الذي فيها؟ إنها خلية بشرية عادية جدًّا.
قالت بانفعال:
- بالطبع هي خلية بشرية, ولكنها غير عادية أبدًا. انظرْ إلى الغشاء المحيط بها.
عاد ليدقّق النظر فيما طلبت منه, وفجـأة أمسـك الميكروسـكوب بكلتـا يديـه, وكاد أن يخترقَ عدسته بعينيه من شدة اندفاعه أكثرَ نحوها تـدقيقًا فـيما رأى، وارتد مصعوقًا, وقال:
- هذا مستحيل في أي خلية، بشرية كانت أو حيوانية أو حتـى نباتيـة!! كيـف هذا؟ هل هذه الخلية بدون غشاءٍ تمامًا؟!
قالت د. شيرين موضّحة:
- نعم يا عمّي, فهذه الخلية بلا غشاء, وقد تيقنـت مـن ذلـك بفحصـها تحـت الميكروسكوب الإلكتروني الخاص بالكليـة عنـدنا, وهـذا علميًّـا مسـتحيل كيـف ستحتفظ الخلية بخصائصها بعد ذلك؟ حتمًا ستحدث تغـيرات كثـيرة ومجهولـة تتوقف نوعيّتها ومداها على حجمِ وتأثير تلك التغيرات.
هزّ رأسَه غير مصدّق وقال لها مندهشًا:
- هل تقصدين أنّ هذه الشريحة تخصّ...

قاطعته بمنتهي الحماس قائلة:
- نعم تخصّ شريف.
التفت إليها ببطء وسألها:
- كيف وصلت إليك؟!
قالت مباشرة:
- تذكر أنني أخذت عيّنات له سابقًا لأقوم بفحصها, تلك هـي إحـداها, وكنـت قد نسيتها تمامًا.
وأمس كنت أعد مجموعة من الشرائح لأهديها لمعمـل الكليـة؛ ليتـدرب عليهـا الطلبة بعد أن أنهيت أبحاثي عليهـا, وبيـنما كنـتُ أقـوم بمراجعتهـا وتصـنيفها، وقعتْ تلك الشريحة في طريقي, وأذهلني ما بهـا تمامًـا، وبعـد مراجعـة الـرقم المسجّل عليها من أرشيف ملفات أبحـاثي إذ بي أجـدها لشريـف، مـما جعلنـي أنكبّ على مراجعة ملفِه وتقارير فحصه السابقة، لكنّ المدهش أن كلّ التقارير كانت طبيعية, ونتائج الفحص القديمـة عاديـة تمامًـا,كيـف ومتـى حـدث ذلـك التحول؟!
صمتت عندما وجدتْه شاردًا لا يسمع ولا يعي أي شيء ممّا قالته.
فاستطردت بتساؤل:
- عمّاه! دكتور! ألازلت هنا؟! ما كل هذا الشّرود؟!
لوّحت بكفّها أمام عينيه, لكنه ظلّ متجمدًا لم يطرفْ له رمش, وكأنما تحوّل إلى تمثال ارتسمت على وجْهِه كلّ ملامح الدهشة والحيرة.

بل تجمّد كلّ شيء فيه عدا عقله الذي أخذَ يعمل بسرعته القصوى مستعيدًا كلّ تفاصيل القصة من أولها بكل دقائقها منذ اكتشف هو ود. بدر الدين ذلك الجوّال العجيب مع شريف, وكلّ الأحداث التي دارت بعد ذلك حتى الآن.

فجأة انتفض من مكانه, وانطلق مهرولًا إلى غرفة مكتبه الخاص, اشتعلت د.شيرين بالفضول والإثارة, وتبعته على الفور عندما أحسّت أن عمّها العالِمَ الفذّ العبقري قد ومضَت في عقله فكرةٌ عبقرية جديدة قدْ تتحوّل إلى اكتشاف جديد مِن اكتشافاته المذهلة، اقتحم الغرفةَ وأخذ يقلّب في أدراج المكتب باهتمامٍ بالغ, ثمّ اتّجه إلى خزانة الأوراق, وأخذ يبحثُ ويقلّب الأوراق بعصبية, وهو يقول بضيق:

- أين هو, أين هو؟! أنا متأكد أنه كان في غرفة المكتب.

قالت:

- أخبرني عمّا تبحث لأساعدك.

لم يبدو عليه أنه سمعها فقد ترك خزانة الأوراق وجلس على الأرض خلف مكتبه يبحث في الأدراج السفلية بسرعة.

صرخ فجأة:

- ها هو, الحمد لله, الشكرُ لك يا كريم، كنت متأكدًا أنني لم أتخلّص منه, فأنا لا ألقي أية قصاصةِ خطّ القلم عليها حرفًا.

تأمّلت الملف القديم ذي الأوراق البالية الغير منتظمة, وتساءلت بدهشة:

- ما هذا؟!

قال بابتسامةِ انتصار:

- فكرة قديمة خطرت لي في حلم, وعندما استيقظت سجلتُها بالقلم الرصاص في هذه الأوراق, حاولت أكثرَ من مرة أن أعودَ إليها أو أعيد صياغتَها أو حتى تقنينها, ولكني لم أستطعْ فهي أقرب كثيراً للجنون من الواقع، حتى يئست منها تمامًا, واعتبرتها ضربًا من المستحيل لا يمكن تطبيقه لا على بشر ولا حيوانات ولا أي كائن حي.

تأمّلتْه قليلًا بدهشة, ثم قالت بخيبة أمل:

- إممم حلم؟! وما علاقة ذلك بمشكلاتنا الآن؟! أنا أريد تفسيراً لما حدث لشريف ,وذلك التحوّل العجيب لخلاياه.

التفتَ إليها فأصابتها قشعريرة من ذلك البريقِ المتوهّج بنشوى الانتصار الذي يملأ عينيه, وهو يقول بشرود:

- إنها هي, تمامًا كما في الفيلم القديم، فقد احترق العفريت بعد أن ترك لنا ذراتٍ من رمادِه أغرقت جسدَيْ شريف ورامي.

هذا هو ما حدث بالضبط، اختفى مخزن الطاقة الإشعاعية من الجوّال بعد أن ترك أثره على جسد شريف وخلاياه, ويعلم الله ما فعله بجسد رامي.

هتفت غير مصدّقة:

- عمّاه, لا تدع خيالك يطير بعيدًا, نحن لسنا في رواية خيالية، أنت أكثر مَن يعلم خطورة تأثير الإشعاع على جسدِ الإنسان, أنسيت ما حدث لمخّ الفأر؟!

انتفض من مكانه واشتعلت خلاياه بالتحدي, وقال بعزيمة:

- لنْ أجادلك، ولكن سأثبتُ لك بشكلٍ عمليّ صحة استنتاجي, تعال معي إلى المختبر.

هتفت بدهشة:

- ما الذي تنتويه الآن؟!

قال وهو يحتضن ملفَه القديم, ويسرع الخطا نحو المختبر:

- سأتفحّص الخلية بجهاز رصدِ النشاط الإشعاعي.

****

انْهارت د. شيرين على الأرض بإرهاق بالغ في بئر المصعد الذي اختفى فيه شريف ورامي, وقالت بتعب:

- عمّاه, أكاد أن أموتَ من الإرهاق.

كان د. إسماعيل معلقًا أعلى سلم خشبي نقّال, يرتفع عن الأرض إلى ما يقرب المترين, وممسكًا في يده جهازًا حديثًا للرصد الإشعاعي يمسح به الجدار وينظر في شاشته الرقمية باهتمام على ضوء الكشافات القوية التي أحضرها معه ووضعَها في أركان الغرفة لتُحيلها إلى نهار بضوئها القوي.

قال لها:

- اذهبي أنتِ إلى البيت لترتاحي, وأنا سأكمل.

قالت بنفاذ صبر:

- أنت بحاجة إلى الراحة أكثرَ مني, كما أنك لم تأكل شيئًا منذ أمَد، ما رأيك أنْ تأتي عندنا لتأكل وترتاحَ قليلًا ثمّ نعاود البحث في الصباح الباكر؟ دعني أذكّرك أنّ الساعة تجاوزت منتصفَ الليل بكثير.

قال بجديّة:

- لا يمكنني أن آكل أو أرتاح قبل أنْ أعـرفَ كيـف اختفـى شريـف ورامـي، أنـا متأكّد أنهما كانا هنا, قراءات الجهاز تشير إلى نشاط إشعاعي ضعيف للغايـة لا شكّ أنه لهما.

تثاءبت بإرهاق وقالت:

- يا إلهي, ألا زلتَ مصرًّا على تلك الفكرة المجنونة, إنها مستحيلة تمامًا, لا أحـد يمكن أنْ يصدّق ذلك, د. بدر نفسه اسْـتنكرَ كـلّ كلمـةٍ مـمّا قلتهـا لـه, وتركـك وذهب ليبحث عمّن يساعده مِن معارفه مِن الشرطـة في البحـث عـن شريـف ورامي.

قال بضيق:

- رأيت بنفسك في المعمل كيف أنّ خليـة شريـف بهـا نسـبةٌ مـن الإشـعاع, ألمْ تخرج عيناك مِن وجهك عندما رأيتِ شاشة الجهاز الرقمية ومـا سـجلتْه بمجـرد أنْ عرضتها للعينة؟

قالت:

- لا أنكر ذلك، ولكنْ ما علاقة هذا المكان الذي نحن فيه الآن بشريف ورامـي, لا شيء يدلّ أنهما كانا هنا, لا أثر لهما أبدًا.

اتسعت عيناه وهو يتأمل كـلّ جـزءٍ في المكـان مِـن حولـه, والمشـاهدُ والأفكـار تتزاحم في عقله, وقال بيقين تام:

- ليس قراءات الجهاز فحسـب التـي تـدفعني لـذلك, بـل هـو عقـلي.. عقلي يؤكّد لي أنهما اختفيا في هذا المكان, بالضبط.. قد أجهـل الكيفيّـة, لكنني موقنٌ أنّ هذا هو ما حدث، هناك شيء غامض حـدثَ لهـما هنـا,

وبالتحديد في هذه النقطة التي أقفُ فيها على ارتفاع المترين, كلّ الآثار على الجدران تقولُ هذا.. أكادُ أسمع صوتَهما, أكادُ أرى الرعبَ في عيونهما, أكاد أستشعرُ ضغط الجاذبية الرهيب على أجسادهما, أكادُ أنْ أشم رائحةَ الاحتراق في المكان.

فجأة, ارتج السلم الخشبي الذي يعلوه د. إسماعيل بقوة كادت أن تسقطه، وتمايلت شيرين في وقفتها وهي تشعر بالأرض تميد من تحتِ قدميْها، فأسرعت لترتكنَ إلى الحائط، وقبل أن يتساءل أحدُهما عمّا يحدث؛ إذا بضوء مبهرٍ أغشى أبصارهما يسطع بسرعة تنافسُ سرعةَ فلاش الكاميرا.

وأخيرًا, قفز ذهولُهما للذّروة عندما طرقَ سمعَمها صوتُ شريف الواهن, وهو يقول:

***

الحمد لله

د. إسماعيل..

د. شيرين..

البقيةُ في الجزء الثاني إن شاء اللـه

"فجوةُ الأهوال"